



شكوك أبي بكر الرازي على جالينوس سؤال النهج الإستمولوجي

OKBA DJENANE

Biskra Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, Cezayir
University of Biskra Faculties of Humanities and Social Sciences, Algeria

okba.djenane@univ-biskra.dz

<https://orcid.org/0000-0003-2654-9870>

ملخص

يُحاول البحث النَّظَر في وَضعية العِلْم العربي الإسلامي وعلاقته بالموروث اليوناني. وهذا من خلال مراجعة موقف أبي بكر الرازي الشُّكِّي من آراء مُعلمه جالينوس. فرغم إفادة الرازي من مُصنفاته، إلا أنه نقض أفكاره الطبية والفلسفية واستدرك عليه في كتابه "الشكوك على جالينوس". يَتَقَصَّى البحث المنهج الذي اتبعه أبو بكر الرازي في نقد مُعلمه. ويُحاول إثبات وجود تناول إبستمولوجي نوعي وجريء؛ يُظهِر من رغبة الرازي في قطع التَّمطية الفكرية و وضع الأبوية المعرفية موضع السؤال. تُتَبَّى الدراسة المنهج التحليلي النقدي والسِّيَاق والمقارن. وأما طبيعة المقاربة، فهي نوعية. ومن أهم ما توصل إليه البحث؛ هو تبني الرازي لمنهج إبستمولوجي مُبتكر في شكوكه، وَضِع من خلاله قضايا جالينوس الميتافيزيقية والمنطقية على المحك مُبَيَّنًا هشاشة براهينه.

الكلمات المفتاحية: أبو بكر الرازي، جالينوس، الشك المنهجي، الإبستمولوجيا، الفلسفة العربية الإسلامية.

Öz

Ebû Bekr er-Râzî'nin Galen Hakkındaki Şüpheleri: Epistemolojik Yöntem Sorunu

Bu araştırma İslam dünyasında bilim biliminin durumunu ve Yunan mirasıyla ilişkisini incelemektedir. Bu inceleme, Ebû Bekr er-Râzî'nin, hocası olarak gördüğü Galen'in vardığı sonuçlara yönelik şüpheli yaklaşımının gözden geçirilmesiyle yapılmaktadır. er-Râzî, Galen'in eserinden istifade etmiş olsa da onun tıbbi ve felsefi fikirlerini çürütmüş ve bunları *Galen Hakkında Şüpheler* adlı kitabında düzeltmiştir. Araştırma, Ebû Bekr er-Râzî'nin hocasını eleştirirken benimsediği yöntemi inceleyerek, niteliksel ve cesur bir epistemolojik yaklaşımın varlığını ortaya koymaya çalışmaktadır. Râzî'nin bu yaklaşımı, onun entelektüel stereotipleri yıkmaya ve epistemolojik paternalizme meydan okuma arzusundan kaynaklanmaktadır. Çalışma eleştirel, bağlamsal ve karşılaştırmalı analitik bir yaklaşımı benimsemiştir. Yaklaşımın doğası ise nitelikseldir. Araştırmanın en önemli sonuçlarından biri, er-Râzî'nin şüpheliğiyle yenilikçi bir epistemolojik yöntem benimseyerek, Galen'in metafizik ve mantıksal delillendirmelerinin kırılmasını ortaya koymasındır.

Anahtar Kelimeler: Ebû Bekr er-Râzî, Galen, Şüpheli Yöntem, Epistemoloji, İslam Felsefesi.

Abstract

Abū Bakr al-Rāzī's Doubts About Galen: The Question of the Epistemological Approach

This research examines the status of Arab-Muslim science in the Islamic world and its relationship with the Greek heritage. This is done by reviewing the sceptical position of Abū Bakr al-Rāzī towards the conclusions of his teacher Galen. Although al-Rāzī gained something from Galen's work, he refuted his medical and philosophical ideas and corrected them in his book *Doubts About Galen*. The research examines the approach taken by Abū Bakr al-Rāzī in criticising his teacher. He attempts to prove the existence of a qualitative and audacious epistemological approach. This is due to al-Rāzī's wish to breach intellectual stereotypes and challenge epistemological paternalism. The study adopts a critical, contextual and comparative analytical approach. The nature of the approach is qualitative. One of the most important conclusions of the research is that al-Rāzī adopted an innovative epistemological approach to his scepticism, through which he put to the test Galen's metaphysical and logical assumptions, thereby demonstrating the fragility of his argument.

Keywords: Abū Bakr al-Rāzī, Galen, Systematic doubt, Epistemology, Islamic Philosophy.

مقدِّمة البحث

مثَّل العلم العربي الإسلامي، في صورته الأولى زحما علميا وافدا؛ بعد أن أبدت الحضارة العربية الإسلامية انفتاحا كبيرا على العلوم. فجَمعت مختلف النظريات القديمة المؤثرة، ودَوَّنت عديد الأفكار الجديدة التي وصلت عن طريق حركة ترجمة كبيرة تمكَّنت من إزاحة الغبار عن مخطوطات يونانية منسَّية في الأديرة قادمة من بيزنطة¹. وذلك بعد جهود واسعة أشرف عليها حُنين بن إسحاق العبَّادي (ت.260 هـ/873 م). فكانت النتيجة أن تعامل العلماء، في القرنين الثاني والثالث الهجري، مع هذا التراث المعرفي الضخم بشيء من القبول والتَّسليم الحَذر في أول الأمر؛ وذلك من خلال تبني أفكاره وحضورها في كثير من المجالات المعرفية المختلفة، واستناد غالبية الأعمال الفلسفية والطبية، في بناء إسهاماتها خاصة على نظريات أبقراط وجالينوس.

وقبل أن يستكمل الفكر العربي صورته الواضحة، وُجد في تأسيس بغداد سنة (144هـ/762م) جوا مناسبة للإبداع والانطلاق الفكري والعلمي؛ حيث تُرجمت المزيد من الأعمال المهمَّة من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية؛ في مجال الفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضيات وعلم الفلك والطب وغيرها². الأمر الذي ساهم في تشكُّل رغبة مُلحة في الانفتاح الفكري على الآخر أكثر؛ في محاولة استيعاب إنتاجه المعرفي ابتداءً

¹ Anne-Marie Moulin, *Histoire de la médecine arabe*, 26–27.

² يجدر بنا التنويه إلى أنَّ حدث تأسيس بغداد، يُعدُّ فارقة مهمة في تاريخ الفكر والعلم العربي خلال العصر الإسلامي؛ إذ كانت بمثابة الحاضنة التي ساهمت في تعزيز انطلاقه نحو الإبداع والنقد، خاصة بعد إنشاء "بيت الحكمة" على يد الخليفة المأمون (786-833)، والتي جمعت علماء ومترجمين من تقاليد ومشارب فكرية مختلفة. ولا يُمثَّل حدث التأسيس هذا نقطة البدء الأولى أو الحصرية، التي لم تسبقها أعمال ترجمة وشرح ونقد للتراث الفلسفي والعلمي اليوناني خاصة.

وتطويره انتهاءً. فاكتسب العلم العربي بالتالي، بعد تشرُّبه لعلوم الأوائل روحاً نقديّة خلافة³؛ ظهرت في مُصنّفات لفيّف من الأعلام الكبار⁴؛ كالكندي والفارابي وابن سينا وأبي بكر الرازي وغيرهم، شرحاً وتعليقاً واستدراكاً على التراث اليوناني خاصة.

يعاود البحث تناول حضور الروح الإبداعية، والإجابة على طرف من إشكالية النقد المعرفي في متن العلم العربي الإسلامي. وذلك من خلال نموذج نقد أبي بكر الرازي (ت. 925م) لمعلمه جالينوس (ت. 201م)، في كتابه "الشكوك على جالينوس" رغم إفادته منه. فالرازي عَيَّنَة مشروعة للإجابة عن هذا الإشكال، في صورته العامة أولاً؛ على اعتبار أنّ الرازي اسم وازن في سيرورة العلم الإنساني، وحلقة مُهمّة في تاريخ العلم العربي الإسلامي. كما تجيب عن الإشكال في صورته الخاصة ثانياً؛ بالنظر إلى شخصيته العلمية التي تراوحت بين خاصيّتي الطب والفلسفة من جهة؛ زيادة على الروح النقدية التي تجلّت في المحاذير التي سجّلها على ميراث مُعلّمه من جهة ثانية، وهو ما يُسوِّغ لنا الإجابة عن سؤال التناول أو النَّهَج الإبيستيمولوجي⁵ في الشكوك. وخصوصيته عن باقي المحاولات السابقة والمعاصرة له على الأقل.

وتَظْهر الحاجة إلى الإجابة عن هذا السؤال؛ في القيمة المعرفية والإبيستيمولوجية، المتعلّقة بتطور المعرفة الطبية والتفكير العلمي في العصور الوسطى، ومحاوله الوقوف على طبيعة المنهج المُتَّبَع من قِبل الرازي في شكوكه على جالينوس من جهة، ومقارنته بالمحاولات الأخرى التي سبقته ومعرفة مداها من جهة أخرى. إضافة إلى الوقوف على أثر هذه الشكوك في تطور الفلسفة العربية الإسلامية. ويرمي البحث إلى محاولة تفسير شكوك الرازي، من خلال تناول الخلفية الميتافيزيقية واللاهوتية لها، وكذا فهم المنهج الذي اتبعه الرازي في شكوكه وتقييمه؛ مما يساعد على فهم أفضل للطبيعة الفلسفية للعلم آنذاك. وينطلق البحث من فرضية مُؤدّاهَا؛ أن الرازي يحمل وجهة نظر فلسفية ولاهوتية وطبية مغايرة عن جالينوس، سعى من خلالها إلى تطوير منهج علمي أكثر صرامة ودقة في مجال الطب، مع تحسين الفهم النظري والعملية "التقني" في عصره. وسنعود في نهاية البحث إلى مناقشة موسّعة لهذه الفكرة؛ قُصِد استخلاص نتائج نهائية تجيب على إشكال البحث. ولتحقيق المناقشة، اعتمدنا المنهج التحليلي النقدي في فهم الشكوك على جالينوس وفحصها. إضافة على المنهج الاستقرائي في تتبُّع النصوص ذات الصلّة بالموضوع.

1. الدراسات السابقة

³ كما ظهرت روح تسامحية عالية، نشأت في مركز التعليم السّاساني ومهد الطب العربي، مدينة جنديشابور Jundishāpur سنة (17هـ/638م)؛ وهذا بموجب استعمال اللغة العربية، التي كانت أداة تخاطب علمي ووسيلة انسجام اجتماعي.

Emilie Savage-Smith, 'La Médecine', 160.

⁴ هناك نوعان من الأطباء في الطب العربي: الأطباء الممارسون أو الأطباء الفلاسفة، الذين يهتمون بالمرض والتشخيص والعلاج مثل الرازي، ويعتبرون الفلسفة آلة أو أداة. والفلاسفة الأطباء المدرسيون (scholastics) الذين يهتمون بالطب كجزء من المعرفة الإنسانية، مثل ابن سينا، انظر:

George Sarton, *Introduction to the history of science*, 587.

⁵ Claude Chastel and Cénac Arnaud, *Histoire de la médecine*, 9.

يسعى بحثنا إلى مراجعة الدراسات السابقة⁶؛ ذات الصلة المباشرة بكتاب "الشكوك على جالينوس" تحديداً؛ أي التي تجعل من الكتاب موضوعاً مركزياً، أو التي تتناول موضوعاً رئيسياً منه؛ قصد تجنب الخوض في مواضيع فرعية، لا تساهم بشكل مباشر في تحقيق هدف البحث. وبالجملة نجدنا إزاء كوكبتين أو قُطبين من الدراسات: القطب الذي جمع وحقق وعلّق على النص، والقطب الذي اشتغل على قضايا النص؛ الفلسفية الميتافيزيقية والطبية والكيميائية. ونعرض هذه الدراسات ذات الصلة، مع إعطاء الأولوية للجودة، وفق حُط زمني تصاعدي من الحديث إلى الأحدث. وتشمل هذه الدراسات في كلا القطبين؛ الكتب والمقالات الأكاديمية والمؤتمرات التي تناقش مسائل محددة في فلسفة الرازي وتأثيرها على التفكير الطبي والفلسفي في العصور الوسطى واللاحقة.

إستقرّ لدينا، بعد مسح توثيقي في أدبيات تاريخ العلم العربي الإسلامي، أن أوّل محاولة اعتنت بفلسفة الرازي النقدية هي محاولة المستشرق بُول كراوس (P. Kraus)⁷، الذي جمع ونشر مخطوطات قديمة، احتوى بعضها على نصوص للرازي تنقد جالينوس؛ وغالبا ما كانت هذه المخطوطات منتشرة في مكتبات ومجموعات مختلفة. وكان اهتمام كراوس بكتاب "الشكوك على جالينوس" - الذي لم يُنهِ العمل عليه - بمثابة التمهيد لباحثين آخرين بعده، إذ سمح للمُهتمين بتاريخ وفلسفة العلم العربي الإسلامي بفهم الانتقادات الواقعة من الرازي في حق جالينوس. كما مهّد الطريق لمساهمات علماء آخرين؛ من أمثال المستشرق شلومو بيناس (S. Pines)⁸ الذي فحص مقدمة الكتاب وبعض الفقرات القصيرة منه، زيادة على تقديمه فقرات من الانتقادات الموجّهة لجالينوس من الرازي. كما حاول المستشرق الألماني جوتهارد شترومير (G. Strohmaier)⁹ تحديد المقاطع التي اقتبسها الرازي بالعربية في النصوص اليونانية لجالينوس. أما الأستاذ مهدي محقق (M. Mohaghegh) فقد تناول الكتاب بالتحقيق والنشر مُتممًا بذلك عمل من سبقه، وأخذاً قَصَبَ السَبَقِ في إخراج الكتاب إلى النور. إلا أنّ معالجة الأستاذ محقق غَلَبَ عليها جُهد التحقيق والتدقيق في النص¹⁰. هذا فيما يتعلق بمحاولات القطب الأول من الأبحاث، وهي على أهميتها البالغة في التأسيس وأصالتها في المعالجة - من خلال جَمع شتات الكتاب وإخراجه في صورة نقدية متناسقة؛ تظل فُصوله ومطالبه التي لا تكاد تنفصم بحاجة إلى مزيد بحث بشكل عميق وبيّني.

أما القطب الثاني، فمن أهمّ نماذجه دراسة الباحثة مهريز كاتوزيان صفدي¹¹ (M. K.-Safadi)، التي تناولت جزء الأدوية المفردة والمركبة من الكتاب، و الأدلة النظرية والتجريبية والتقنية التي يُقدّمها الرازي لنقد جالينوس، حيث تعرضت لأحدى الموضوعات الرئيسية في الكتاب، وهو مفهوم "المفرد" و "البسيط"،

⁶ جدير بنا أن نفرق هنا بين الأعمال الحديثة، التي كانت بحق "الشكوك على جالينوس"، وهي ما يُحدّد مجال الدراسات السابقة بالنسبة لنا من جهة أولى، ومحاولات الشكوك على جالينوس الكثيرة قبل الرازي؛ من العرب أو العجم من جهة ثانية. وموقف مُعاصري الرازي خاصّة، في حِلْمٍ لهذه الشكوك وُردوهم عليه من جهة ثالثة.

⁷ Paul Kraus, *Jābir ibn Ḥayyān*, n. 2, 30; n. 4, 170.

⁸ Shlomo Pines, *Razi critique de Galien*, 256-263.

⁹ Gotthard Strohmaier, 'Bekannte Und Unbekannte Zitate in Den Zweifeln an Galen Des Rhazes', 265.

¹⁰ محمد بن زكريا أبو بكر الرازي، *الشكوك على جالينوس*. [من هذه الإحالة، نكتفي بالإشارة إلى هذا المصدر بكلمة [الشكوك].]

¹¹ Mehrnaz Katouzian-Safadi, 'La cornue et l'alambic', 377.

فخصّصَتْ بحثاً عن مادة الخَلِّ المستعملة في الطب، و نقد الرازي لجالينوس في هذا الشَّان؛ باقتراح حيلة لفصل الخل إلى مكوناته باستعمال المِقْطرة و الإنبيق (The Retort and The Still)؛ كما تُبيِّن الورقة انتقادات الرازي في إثبات جالينوس لتأثير الخل على الجسم. وُزعم أن الدراسة تشير إلى التقييم النقدي لنظريات جالينوس الطبية الراسخة، إلا أنها لا تذكر مباشرة طبيعة النهج النقدي الذي سلكه الرازي حيال جالينوس ولا الآثار العملية لهذا النقد.

ومن أهمّ الأعمال الوازنة - في نظرنا- عمل الباحثة بولين كويتشيت (P. Koetschet)¹²، التي أصدرت كتاب الشكوك باللغة الفرنسية مع التعليق عليه. وعلى حُجْم العمل الذي يعكس جهدا لغويا كبيرا في التعامل مع النص، واعتمادها على حلول ابن زُهر لشكوك الرازي على جالينوس؛ كأداة لإعادة بنائه وضبط فقراته المهمّة. ومع تنويعها للتداخل القوي في الشكوك، يَبين العمل الطبي والتأمل الميتافيزيقي؛ في المبادئ الوجودية التي يُقوم عليها فهم الجسم البشري من جهة، والتفكير المعرفي في الطريقة التي تسمح بإنتاج التشخيص الطبي من جهة ثانية¹³. وعلى تناولها للشكوك في سياق التطور التاريخي للأفكار الطبية والفلسفية¹⁴، لا تُقدِّم لنا الباحثة تحليلا لخلفية الرازي الفلسفية والمذهبية خاصة؛ والتي كانت داعيا في تَبْيِئِهِ لموقف سلمي من أرسطو. كما لا تُناقش تداعيات اهتزاز سُمعة جالينوس في الفلسفة والطب خاصة؛ رغم إشارتها إلى هذه السُمعة المُهتزة. كما لا نجد بالقدر الكافي توسيعا لنطاق التحليل الداخلي لنقوض الرازي على جالينوس¹⁵.

بقِيَ لنا أخيرا أن نُحيل إلى عمل معاصر مُهمّ آخر، وهو عمل الأستاذ جلين كوبر (G. Cooper)، الذي ناقش في بحثه المنهج التجريبي لدى الرازي، ورَفُض هذا الأخير لنظرية البُحْران (Crisis) لدى أبقراط وجالينوس تحديدا في كتابه (De diebus decretoriis)¹⁶؛ إذ يُدخِل علم التنجيم في الخطاب الطبي، بدلاَ عن الوقائع والأعراض الملحوظة؛ الأمر الذي دَعَا الرازي إلى الاشتغال بالكيمياء نظرا لطبيعتها التجريبية¹⁷

تُمثل هذه الأدبيات القطب الثاني من الدراسات، وهي على وجاهتها وأهميتها ما قدمته من إضافة؛ في تاريخ العلم العربي الإسلامي عموما، وشكوك الرازي على جالينوس خصوصا، لا تُجيب عن سؤال النهج الإبيستيمولوجي بشكل وافٍ. وهذا بسبب قراءتها التي تأخذ جانبا دون آخر في نظرنا.

2. منهجية البحث

يحاول البحث في البداية، تحديد السياق التاريخي والخلفية الفلسفية، التي تساعد على فهم مقبول -

¹² Abū Bakr al-Rāzī, 'Doutes sur Galien', 98.

¹³ Guillaume d'Arcy de Vaulx, 'Koetschet, Pauline, Abū Bakr al-Rāzī, « Doutes sur Galien ». Introduction, édition et traduction', 399.

¹⁴ Fabian Käs, 'Abū Bakr Al-Rāzī, Doutes Sur Galien', 345.

¹⁵ Abū Bakr al-Rāzī, 'Doutes sur Galien', 98.

¹⁶ Peter Pormann, "Galen, *De Diebus Decretoriis*," 71-74.

¹⁷ Glen Cooper, 'Abū Bakr Muḥammad Ibn Zakariyyā Al-Rāzī's Doubts about Galen', 268.

على الأقل- لفلسفة أبي بكر الرازي وموقفه الشّكي، باعتباره مُمثلاً نهائياً للقرن 3هـ/9م. هذا القرن الذي سبق نقطة التحول الأرسطية. ثم التعرض لموقعه من علوم الأوائل وسلطتهم؛ لتبيّن حضور شخصيته المعرفية واستعداده الذاتي؛ وهو ما يُبرر له اعتداده بنفسه معرفياً، وأهليته بأن يقف موقف الشك حتى على من تعلّم منهم. وقبل الوصول إلى الخاتمة، يحاول البحث الإجابة على الإشكال؛ من خلال تناول مُسوِّغات الشكوك، وذلك بعرض أهم محاولات الشكوك قبل الرازي خاصة، ثم مواطن الاستدراك والتصويب على جالينوس عبر الإحالة إلى النصوص الأولى للشكوك؛ قصد الوقوف على آراء الرازي الفلسفية والطبية والخيمايائية من جهة، ومعرفة مستوى لغته الحجاجية وإجرائه البرهاني من جهة أخرى. ثم يخلص البحث إلى أهمّ النتائج والمساهمات الرئيسية، ويختتم بما يراه مناسباً على سبيل التّوصية.

يعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي؛ لفهم مبررات ومدارات الشكوك على جالينوس، وصورها وأثرها على الفلسفة العربية لاحقاً. ولا يجد البحث بُدأً في أن يظهر بمنهج متعدد الأوجه؛ وهذا قصد الحصول على فهم شامل وعميق لتطور الشكوك وتأثيرها في تاريخ العلم.

3. الرازي ومعالَم الشخصية

حياة أبي بكر محمد بن زكريا الرازي Rhazes (865م-925م)، على درجة كبيرة من الغموض؛ فالقليل الذي وصل إلينا عنه يعتمد على روايات شفوئية متأخرة ومتناقضة. فقد دارت حياته بين العراق وإيران؛ إذ بدأت أيام الصّفارين، وعاش شبابه وبقية عمره في كنف الدولة السّامانية، في جوّ مضطرب سياسياً، إذ عرّفت هذه الفترة مشاحنات عرقية واختلافات دينية بين العرب والفُرس؛ مما حَمَلَ الإسماعيليين على اعتباره عدوّاً خطيراً وصائباً مُلجداً، على حدّ وصف أبي حاتم الرازي (ت.322هـ/934م)، الخَصَم اللُدود لفيلسوفنا، في كتابه "أعلام النّبوة". برع الرازي في مجال الفلسفة والفلك والكيمياء، لكن باعه الأكبر في صناعة الطب؛ ما جعل ابن جُلجل يصفه بـ "الطبيب المارستاني"¹⁸، ويُقرّر ابن أبي أصيبعة أنه استحقَّ اسم "جالينوس العرب"¹⁹.

بلغ الرازي شأواً عالياً في تحصيل العلوم؛ ما جعله يُسوِّغ له الاعتداد بنفسه ويسمّ الآخرين بالجهل والوهم! مثلما وصف حالة حسين بن عبْدويّه: «كان الأطباء يتوهّمون لعظم بدنه أنه مرطوب جهلاً منهم بين اللّحيم والبيّن الشّحيم»²⁰. لكنه يُقدم من له باع في الصنعة على صاحب الدليل النظري؛ كمثال الصيدلاني الذي أعطى امرأة "الترياق الأربعة"؛ وهو غير الدواء الذي وصفه الرازي لها: «فبرأت بُراً عجيبياً فعجبنا منه و سائر الأطباء»²¹. وهذا في واقع الأمر دفاع عن النبوغ وإقرار بالتميز؛ وما ظهر على شخص

¹⁸ ابن جُلجل، طبقات الأطباء والحكماء، 77.

¹⁹ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 421.

²⁰ انظر حالة حسين بن عبْدويّه [Case no. 12: Obesity and Gout]:

Max Meyerhof, *Thirty-three clinical observations*, 339.

²¹ انظر: الحالة السابعة عشر [Case no. 17: Eclampsia]:

Meyerhof, *Thirty-three clinical observations*, 341.

الرازي إلى حدِّ العناد المشوب بالزُّهوا وهو ما يفسّر رفضه الاقتراح لِعَيْتِيَه؛ بعد أن أصيب فيهما من فرط التحصيل²²، اعتقاداً منه في أن الألم الطبيعي أهون على النفس من ألم صناعي حادث، منافحاً بذلك عن نظريته الفلسفية السوداوية الزاهدة التي ما انفك يُرَدِّد عبارتها: «لقد أبصرتُ من الدنيا حتى ملّلتُ»²³!

ترك الرازي آثاراً جليلة في مختلف الفنون مثل موسوعته الطبية "الجاوي"، والتي عادة ما كانت تُخلط مع "الجامع الكبير"²⁴. أما كتابه الثالث المهم الآخر فهو "المنصوري"، الذي عمّله لأبي صالح منصور بن إسحاق (ت.295هـ/908م)؛ زيادة على كتابه في "الطب الروحاني"، الذي جعله عدلياً للطب المنصوري؛ فكان الأول في طب الأبدان والثاني في طب النفوس. ويُعد مصنفه "الجدي والحصبة" الأكثر أصالة من الناحية العلمية؛ إذ اعتمد الرازي في تحريره على جملة المشاهدات السريرية والتجارب الشخصية. ولخص الرازي مذهبه الأخلاقي في مصنفه "السيرة الفلسفية"، كما رسم معالم شخصيته العلمية فيه؛ مُنَوِّها لمرجعته الفلسفية المتمثلة أساساً في سقراط وأفلاطون. ومن المهم هنا، الإشارة إلى حضور جالينوس في آثار الرازي، سواء من حيث مُطابقة بعض العناوين مثل "البرهان" و"في منافع الأعضاء"، أو من حيث تلخيص بعض كتبه، نحو "كتاب النبض الكبير" و"كتاب حيلة البرء" و"كتاب الأعضاء الألة"²⁵. وفي هذا دليل على أن الرازي قرأ هذه الكتب زيادة على التي أشار إليها في الشكوك، وبَيّن تضارب مسانلها وتهاافت حُججها.

4. الرازي وسلطة الأوائل

يعتقد الرازي أن المعرفة متاحة لأيِّ شخص مُثابر على التحصيل؛ فهو بالتالي يُلقي جانباً الفكر النخبوي الذي ساد عصره؛ ما جعله يقف موقف المُتمرّد أو "المقاوم" للتَّحوّل الأرسطي²⁶، رغم قربه من منهج أرسطو التجريبي ومنطقه القياسي²⁷. وعن مخالفة الرازي لأرسطو في آرائه في الإلهيات، يُلخِّص لنا صاعد الأندلسي هذا الموقف قائلاً: «وكان أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي شديد الانحراف عن أرسطوطاليس وعائياً له في مفارقتِهِ معلِّمه أفلاطون وغيره من متقدمي الفلاسفة في كثير من آرائهم، وكان

²² ابن النديم، *الفهرست*، 356-357؛ رغم الاختلاف القائم بين مُترجمي الرازي في سبب إصابته في عينيه، إلا أن البيروني يرى أن إصابته جاءت من فرط القراءة والكتابة، فيورد قصة امتناع الرازي عن الاقتراح ووفاته بعدها. البيروني، *رسالة للبيروني في فهرست كتب محمد بن زكرياء الرازي*، 5 وما بعدها.

²³ ابن جليل، 78.

²⁴ يذكر الرازي "الجامع الكبير" في كتابه "المرشد أو الفصول"، ثم في كتابه "الأقرباذين المختصر"، وكذلك يذكره ستّ مرات في كتابه "الشكوك على جالينوس"، مؤكداً أن مادة كتابه هذا أحسن وأوضح وأوفى ممّا كتبه جالينوس نفسه في كتبه التي يستدرك عليها الرازي.

²⁵ البيروني، *رسالة للبيروني*، 5 وما بعدها.

²⁶ Abū Bakr al-Rāzī, 'Doutes sur Galien', 11.

²⁷ وفي القِصَل Aphorism التالي يُعبر الرازي عن إعجابه بأرسطو وجالينوس؛ إلا أن يكون الفصل انعكاساً لمرحلة مُتقدِّمة من تفكيره؟، يقول: "متى اجتمع جالينوس وأرسطوطاليس على معنى، فذاك، فمتى اختلفا صَعَب على العقول صوابه". انظر: أبو بكر الرازي، *سر صناعة الطب*، 384.

يزعم أنه أفسد الفلسفة وغيّر كثيراً من أصولهم. وما أظن الرازي أحقّه على أرسطوطاليس وحداه إلى تنقصه إلا ما أباه أرسطوطاليس ودان به الرازي ما ضمنه كتابه في العلم الإلهي، وكتابه في الطب الروحاني»²⁸. وفي رفض الرازي لمخالفة أرسطو معلمه أفلاطون، عدم انسجام يقع فيه الرازي في الحقيقة؛ حيث أن الذي نَظَر في الفلسفة يكون قد اقتدى بمن تقدّم، وبالتالي يحصل له الاقتداء بالخلاف. كما يُخاطبه غريمه أبو حاتم الرازي مُعَاتِباً²⁹. غير أنّ الرازي لا يجدُ حرجاً في تَبَيُّن الفلسفة الفيثاغورية³⁰ أو اختيار أفلاطون واعتباره "شيخاً" للفلاسفة، فضلاً عن إعجابه بسقراط الذي يُطلق عليه اسم "الإمام"؛ ويجعله بمثابة الأب الروحي. الأمر الذي «سَمَح له بالتخلّص من أيّ دليل. لأن سقراط لم يكتُب شيئاً، ولم يُدافع عن أيّ مذهب، ولا يُمثّل إلا أسلوب حياة دُونَ مضمون مُحدّد. إذاً، فهي نكايّة مُضاعفة [من الرازي] جبال كلّ تقليد» كما يقول ربي براغ (R. Brague)³¹. لكنّ هذا الموقف كلّف الرازي صيتاً غير محمود من قبل الأرسطوطاليسيين المتطرفين، بسبب اشتغاله بالفلسفة. فابن سينا (ت. 428هـ/1037م) مثلاً، كتّب للبيروني (ت. 439هـ/1048م) مُستَهْتِراً: «محمد بن زكريا الرازي المتكلّف الفضولي في شروحه في الإلهيات وتجاوز قدره في بطّ الجراح والنظر في الأبوال والبرازات، لا جرم فضح نفسه وأبدى جهله فيما حاوله ورامه»³². غير أن البيروني صحّح هذا التعليق الفاضح لحسن الحظ؛ فبعد أن ذكّر الرازي بسوء واحترار، دافع عنه في نهاية حياته وذكره بإعجاب، وأورد قائمة مُعتبرة لمصنفاته في رسالته "فهرست كتب الرازي".

إذاً، فطرّح الرازي لفلسفة أرسطو، وتبَيَّنَه لفلسفة سقراط وأفلاطون؛ هو موقف فيه مصلحة شخصية، وهو رفض مُموّه ومختبئ أو مُوازى بتعبير أدامسان (P. Adamson)³³، وذريعة يتخذها لبناء اسم حرّ له من جهة؛ والثائر لنفسه من مخالفيه المنتصرين للفلسفة الأرسطوية من جهة أخرى. وبالمقابل، يرى في جالينوس نموذجاً للعالم الذي لم يُعطَ حقه من التشريف والتقدير في الفلسفة العربية؛ رغم أنه كان عالم العصور اليونانية القديمة الأكثر ترجمة إلى العربية، مُتجاوزاً أرسطو في هذا الشأن. ومردّ هذا الإهمال راجع إلى انحصار سلطة جالينوس في المجال الطبي. فكتاب "الشكوك على جالينوس" جاء - في الحقيقة - لغرضين: ظاهر وباطن. فالظاهر هو انتقاد جالينوس، وملاحظة عدم تمكّنه من تأسيس افتراضاته بشكل كاف. والباطن هو الدفاع عن سُمعة جالينوس ضد "تحديات" الفارابي خاصة³⁴.

ولعل في الربط بين هذين العَلَمَين؛ أي الرازي وجالينوس، له ما يُبرِّره؛ وهو إسقاط دور فلسفة الأول وعزل فلسفة الرازي عن عمله الطبي³⁵. لكنّ التائرُ بشخصية ما في نظر الرازي، لا يعني سلفاً قبول أفكارها

²⁸ ابن صاعد الأندلسي، كتاب طبقات الأئمة، 107.

²⁹ Abū Hātim al-Rāzī, *Raziana II*. Paul Kraus, ..., 198.

³⁰ حسب ماكس مايرهوف، من المحتمل أنّ الرازي أخذ فلسفة شبيهة للفلسفة الفيثاغورية عن طريق أبي زيد البلخي (ت. 322هـ/943م) تلميذ الكندي. انظر: النُّشَار وآخرون، ديموقريطس فيلسوف النُّرة، 448-449.

³¹ Abū Bakr al-Rāzī, *La médecine spirituelle*, 21.

³² الكردي، جامع البدائع، 127.

³³ Peter Adamson, *Al-Rāzī*, ch. 5.

³⁴ Pauline Koetschet, "What Level of Certainty Can Medical Sign-Inference Reach?," 275.

³⁵ d'Arcy de Vaulx, "Koetschet, *Doutes sur Galien*," 400.

وعدم مناقشتها البتة، وهو وإن أظهر طيبة وتساهلاً حيال بعض المراجع والسلطات الفلسفية، يبقى على قدر كبير من الاستقلالية عن سابقه. لأن التجاذبات الحاصلة بين الأفكار والتناقضات الواقعة بين المذاهب الفلسفية في نظره: مظنة للنظر في حصائلها وسبب لدفع المعرفة نحو اتجاه مُؤداه: "لا أحد يَحْتَكِر الحقيقة": وهي القناعة التي بنى عليها الرازي فكرته عن رفض "النبوة الخاصة"، في كتابه العلم الإلهي.

ولما كان من حق العالم ترقية المعرفة تتبُّعا للحقيقة وتبذوا للتقليد، لم يجد الرازي مانعا أو حرجا في الجراءة على إثارة الشك على جالينوس ومخاصمته معرفيا، كما تجرأ هذا الأخير على نقد معلميه. لأن التفاهم أو الاصطلاح بين زجلين يقتضي الاختلاف بداية، كما قضت به جدلية سقراط من قبل³⁶.

5. محاولات الشكوك على جالينوس

كان لكتب جالينوس (Galinus Claudius حوالي 129-201) الأثر البالغ في التراث الغربي؛ الأمر الذي جعل منه طبيبا مُلهما وعلامة واضحة في الأدب والتراث العربي كذلك³⁷. وقد اعتبر الرازي من أوائل العلماء الذين استفادوا من آثاره، لدرجة عثوره على كتب لجالينوس لم يذكرها لا حنين بن إسحاق المترجم، الذي كان له السهم الوافر في ترجمة كتبه، ولا جالينوس نفسه في فهرس كتبه (Pinax)، كما يذكر ذلك ابن أبي أصيبعة³⁸. غير أن الرازي جمع اعتراضاته على كتب جالينوس³⁹ في كتابه "الشكوك على جالينوس"، الكتاب الذي جعله البيروني ضمن الطبيعيات في رسالته⁴⁰، بعد أن وجد الرازي تناقضات له في مسائل كثيرة. ويسميه ابن أبي أصيبعة "الشكوك والمناقضات التي في كتب جالينوس"⁴¹؛ وهي شكوك في الافتراضات الميتافيزيقية والمنطقية، جاءت مقسمة من الأكثر عمومية وفلسفية إلى الأكثر طبية وتقنية؛ وفيه ينقد الرازي ثمانية وعشرين كتابا من كتب جالينوس، أولها كتاب "البرهان" وآخرها كتاب "النبض الكبير".

ومن المهم القول؛ أن لفيضا من العلماء العجم والعرب المسلمين، قبل الرازي وتبعده، صنّفوا أعمالا في الاستدراك على جالينوس. وهمنا هنا أن نذكر بعض الأعلام الذين نقدوا جالينوس قبل الرازي خاصة، ونشير إلى من نقده بعده من باب الإجراء فقط. فنذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الطبيب اليوناني سورانوس الأفسسي (Soranus of Ephesus - حوالي 138)، الذي كان معاصرا لجالينوس، والممثل الأكبر للمدرسة المنهجية (Methodic school)؛ التي تتميز بالاستقلالية على مستوى العقائد وبالذقة والبساطة في

³⁶ Georges Canguilhem, *Études d'histoire et de philosophie des sciences*, 197.

³⁷ نقرأ للمتنبّي مثلا: "لما وجدْتُ دوائِي داني عندها *** هانتُ عليَّ صفات جالينوسا". المتنبّي، ديوان المتنبّي، 101.

³⁸ "فيما استدركه من كتب جالينوس ولم يذكرها حنين ولا هي في فهرست جالينوس." ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، 424.

³⁹ كما لخص الرازي كتابا له مثل: كتاب العلل والأعراض، كتاب النبض الكبير، كتاب حيلة البرء؛ انظر: ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، 425.

⁴⁰ البيروني، *رسالة للبيروني*، 77؛ كما وضع الرازي شكوكا على برفلس، إضافة إلى شكوكه على جالينوس؛ انظر: ابن أبي أصيبعة، 425.

⁴¹ ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، 422.

الممارسة⁴². أما الإسكندر الأفروديسي (Alexander of Aphrodisias -ت. حوالي 215) فلّه ثلاث مقالات في نقض آراء جالينوس. ومن الأمثلة البارزة أيضا عمل الطبيب اليوناني إيتيوس الأطاكي (Aétius d'Antioche -ت. حوالي 367)؛ الذي أبان عن بعض التحفظات بخصوص أفكار جالينوس، غير أن انتقاداته كانت محدودة. ومن جهته عمل يبي النحوي الإسكندراني (John Philoponus -ت. حوالي 570) كتابا ضمّنه أغاليط جالينوس سماه "الشكوك"⁴³. أما الطبيب بيزنطي، إيتيوس الأميدا (Aetius d'Amida -ت. 575)، فقد أدرج انتقادات لجالينوس في عمله الطبي (Tetrabiblos)؛ تتعلق بنظرية جالينوس التشريحية خاصة⁴⁴.

أما الفلاسفة والأطباء العرب المسلمون، الذين انتقدوا جالينوس قبل أبي بكر الرازي، فيمكن ذكر الكندي (Alkindus -ت. 873) الذي أعرب عن تحفظاته بشأن بعض أفكار جالينوس الطبية؛ وشدد على أنه لا ينبغي قبول جميع أفكاره دون نظر أو تمحيص، وذلك وفق نهج فلسفي⁴⁵. كما تجدر الإشارة إلى أن حنين بن إسحاق (Johannitius -ت. 873) ناقش بعضا من جوانب فكر جالينوس؛ خاصة ما تعلق منها بتفسير النصوص الطبية اليونانية، والتنبيه على بعض الأخطاء في أعماله. ثم ابنه إسحاق بن حنين (ت. حوالي 910) الطبيب المترجم، الذي انتقد بعض نظريات جالينوس، كما صحّح الترجمات السابقة لأعماله⁴⁶. أما الفارابي (Alfarabi -ت. حوالي 950) فقدّم انتقادات لجالينوس لها صلة بالقضايا الفلسفية المتعلقة بالطب؛ وسعى إلى دمج الفلسفة الأرسطية في الفكر الطبي، وشدد على أهمية التمييز بين القضايا الطبية القابلة للتحقق؛ مقابل القضايا الظنية أو التخمينية. ومن جهته ساهم ابن الهيثم (Alhazen -ت. حوالي 1040) في نقد أفكار جالينوس الطبية، إلى جانب مساهماته المبتكرة في العلوم الطبيعية والبصريات خاصة⁴⁷.

أما مرحلة ما بعد الرازي، فيمكن الاكتفاء بذكر اسمين بارزين، كان لهما حظ وافر في فهم آراء جالينوس وتفسيرها. ويتعلق الأمر بابن النفيس (ت. 1288)، الذي رفض بعض أفكار جالينوس؛ خاصة التي لها علاقة بالدورة الدموية. وابن زهر (Avenzoar -ت. 1162) الطبيب الأندلسي، الذي انتقد بعض الممارسات الطبية، وشكك في قيمة جالينوس كسلطة علمية⁴⁸. وقد أكد ابن زهر على أهمية التحقق من

⁴² Vivian Nutton, *La médecine antique*, 333.

⁴³ يذُكر ابن أبي أصيبعة أن الإسكندر الأفروديسي: "رأى جالينوس واجتمع معه. وكان يُلقب جالينوس رأس البغل، وبينهما مشاغبات ومخاضات". وذكر له ثلاث مقالات ردّها عليه، وهي: "مقالة في الرد على جالينوس في المقالة الثامنة من كتابه البرهان" و"مقالة في الرد على جالينوس فيما طعن به على قول أرسطاطاليس وأن كل ما يتحرك فإنما يتحرك عن مُحرك" و"مقالة في الرد على جالينوس في مادة الممكن"; ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، 105-106. أما علي بن رضوان المصري (453هـ/1061م) فقد راسل، ابن بطلان البغدادى (443هـ/1052م) قائلا: "و أعجب من هذا أن يحيى النحوي وضع كتابا سماه الشكوك يوضح فيه ما يزعمه أغلوطات جالينوس". انظر: ابن رضوان و ابن بطلان، *خمس رسائل*، 75.

⁴⁴ Nutton, *La médecine antique*, 220.

⁴⁵ Ahmed Djebbar and Jean Rosmorduc, *Une histoire de la science arabe*, 217-218.

⁴⁶ Raymond Le Coz and Lazorthes Préfacier, *Les médecins nestoriens au Moyen âge*, 190.

⁴⁷ Djebbar and Rosmorduc, *Une histoire de la science arabe*, 218.

⁴⁸ Munawar Anees, 'Ibn Zuh'r', 1125-1126.

أفكار جالينوس؛ من خلال منهج قائم على الملاحظة والتجريب.

6. المُسَوِّغُ الإِبْسْتِيْمِي للشكوك

إن استعمال الرازي لكلمة "الشك" في حق جالينوس، بدلا عن كلمة "الرّد"، في كتابه "كتاب الرّد على الكندي في إدخاله صناعة الكيمياء في الممتنع"⁴⁹ مثلا. أو كلمة "النقض" في "كتاب في نقض الطب الروحاني على ابن اليمان" وغيرهما كثير، يُوحى بإثارة الرّيب؛ فالكلمة على ضعف حدّتها، بالنظر إلى سابقتهما، تحمل ظاهرا معاني التردد المحتشم والاقتراب الحذر من نتاج جالينوس؛ زيادة على اللاقرار في الحكم عليه، فكأن الرازي أراد الإبقاء على مسافة الإجلال والتقدير بينه وبين معلمه. لكن الكلمة تحمل باطنا معنى التضيق والتعسير والتوريط؛ معانٍ تنطوي على نية مبيّنة وغير بريئة فلسفيا، مفادها "النقض" و "الاعتراض" و "النقد" أو "الإحراج" في أحسن الأحوال؛ وذلك بكشف ضعف وهشاشة براهين جالينوس وتمهاتها الواضح في عين الرازي، خاصة إذا كانت بحق طبيب علم كجالينوس. هذا ما أشار إليه الأستاذ مهدي محقق في مقدمة تحقيقه، بأن لفظ: « الشك » [ἀπορία] Aporia الذي يؤدي معنى الضيق والعُسْر و الورطة و الحيرة، و في مجال الجدال الفلسفي يدل على الصعوبة و المشكّلة و المعضلة و اقتران لفظ الشك أو مقابله اليوناني بالحرف "على" Pros يقربه من معنى الاعتراض و النقد. فغرض الرازي في كتابه إثارة الشكوك أو الاعتراضات⁵⁰.

كان جالينوس، قبل محاولة الرازي في شكوكه عليه، مصدرا ضروريا في المعرفة الفلسفية والطبية؛ إذ سيطرت مفاهيمه حول الصحة والمرض لفترة طويلة. فلم يُتصوّر بعدها أن يكون هذا الإرث الطبي موضع سؤال واستدراك، وقد كان الإقبال على هذا النوع من الإجراء جسارة ومخاطرة كبيرة، لا يمكن أن يُجابه صاحبها إلا بالاستجهاال والتعنيف والتخريف⁵¹ ! وهذا ما صوّره الرازي في الفقرات الأولى من الكتاب؛ باستباقه لموقف الاستجهاال والتعنيف اللذان سيّقع فيهما، فقرّر التالي: « أن كثيرا من الناس يستجهلونني في تأليف هذا الكتاب، وكثيرا منهم يلوموني، ويعنفوني، أو كان يجري إلى تحليتي بحلية من يقصد باستغنام واستلذام منه لذلك إلى مناقضة رجل مثل جالينوس في جلالته ومعرفته وتقدّمه في جميع أجزاء الفلسفة ومكانه منها⁵². فالمهمة في نظر الرازي خطيرة والإجراء قاهر، وهو في موقفه هذا شبيه بالمبشّر أو "النبي" بين قومه؛ يُنبئ عقيدة رائجة ليبيّث بعقيدة جديدة غير معهودة. ثم يُسوِّغ مجاهته معلّمه صاحب الفضل عليه، و اضطراره لفعل ذلك على كره، كأنه بلاء لا مناص منه و لا انفكاك عنه؛ و لا يركب الصعب إلا

⁴⁹ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 422-423.

⁵⁰ مهدي محقق، كتاب الشكوك على جالينوس، 6.

⁵¹ في كتابه "البيان والتبيين في الانتصار لجالينوس"، يذهب ابن زهر إلى سفسطانيا يكون قد نسب هذا الكتاب للرازي، أو أن هذا الأخير يكون قد ألفه؛ إما من قبل أن يفهم مؤلفات معلّمه، أو عند تأثره بروائع "الزرايينخ والكباريت على دماغه"؛ بعد اشتغاله بصناعة الكيمياء. وعندما يورد قولاً للرازي، يقول: "قال السفسطاني" عوضاً عن: "قال الرازي". نقلاً عن محقق، كتاب الشكوك على جالينوس، 10.

⁵² أبو بكر الرازي، الشكوك، 1.

المضطر أو المبتلى: « وأجد لذلك. يعلم الله. مضضاً في نفسي، إذ كنت قد بُليت بمقابلة من هو أعظم الخلق عليّ منّة، وأكثرهم لي منفعة، وبه اهتديت. وأثره اقتضيت، ومن بحره استقيت، بما لا ينبغي أن يقابل به العبد سيّده، والتلميذ أستاذه، والمنعم عليه وليّ نعمته»⁵³. وهو في ابتلائه لا يسعه إلا أن يُجابه و"يقاوم"، فالرازي يتمي بصدق نيّة أن لو كانت هذه الشكوك على كتاب رجل آخر غير معلمه، لكنّ الإجلال للمعلم لا ينفى إجراء فعل التفلسف وإمضاء أصول الصناعة عليه. و يجد له مُسوِّغاً يبيّنه على الحرج والمائلة، ليدافع عن موقفه باعتبار أن: « صناعة الطب و الفلسفة لا يحتمل التسليم للرؤساء، و القبول منهم و لا مساهلتهم و ترك الاستقصاء عليهم، و لا الفيلاسوف يحب ذلك من تلاميذه و المتعلمين منه، كما قد ذكر ذلك أيضا جالينوس في كتابه في منافع الأعضاء، حيث ويخ الذين يكلفون أتباعهم و أشياعهم القبول منهم بلا برهان»⁵⁴. فرغم أنه يُعطي للرموز والسلطات الفكرية أهميتها ومكانتها الواجبة والعادلة، إلا أنه يرى بعدم الاكتفاء بتقليدهم وعدم الإفراط في التسامح معهم والاحتفاء بهم، بل لابد من الاحتجاج عليهم والاستدراك عليهم إن استدعى الأمر ذلك؛ لأن الشكوك جاءت لتعيد للمرجعيات الفكرية مكانتها الصحيحة والعادلة، فلا هي تقلدها تقليدا مُستسهلا ولا هي تنبذ انتقادها بالمرة.

ثم يذهب إلى أبعد من هذا فيُبرر تجرؤه على معلمه، ويُوحي لنفسه استنبهال المهمة؛ بأنه لو كان جالينوس حياً لَمَّا لَمَّه على صنيعه طلباً للحق، وحمده بعد النظر في الكتاب- إما بحل الشكوك أو العدول عنها⁵⁵. ثم يرجع بعد أن سوِّغ العذر لنفسه و تصوّره من معلمه، إلى من لَمَّه و جهّله بسبب الشكوك التي استخرجها، ليُخرجه و يُقصيه من دائرة الفلسفة؛ لركونه للتقليد و تخليّيه عن الاعتراض، فيعلّق على من لَمَّه و جهّله أنه لامحالة: « نَبذ سُنّة الفلاسفة وراء ظهره و تمسك بسُنّة الرّعاء من تقليد الرّؤساء و ترك الاعتراض عليهم، فإنه لم تزل سُنّة المتفلسفين جارية بإعلاء الرّؤساء و التشدّد في شدّة المطالبة و ترك المُساهلة. هذا أرسطوطاليس يقول: 'اختلف الحقّ و فلاطن و كلاهما لنا صديقان إلا أن الحق لنا أصدق من فلاطن'»⁵⁶. فسيرة التفلسف تبقى سارية بترك التقليد وتتبع الحقيقة بالتخلي عن التعاطف كما أسلفنا؛ وإلا استشرى هذا المرض واستفحل، فعصّي برؤه بالتالي؛ فداء التقليد كما يُقرر الجاحظ (ت. 254هـ/868م)⁵⁷ لا يُحسن برؤه ومداواته لا جالينوس ولا غيره من الأطباء!

من جهة أخرى، يُنوّه الرازي إلى الأسباب التي بموجبها يسوغ للباحثين في الزمن أو المتأخرين، الاستدراك على السابقين أو الأوائل؛ فيُجمّلها في سبب "ذاتي" يُهدّد موضوعية المعرفة ومصداقيتها؛ وهي الغفلة المجبولة في البشر و غلبة الهوى، حتى لا يستطيع الرجل- من قرط هواه على عقله- تفريق الخطأ من الصواب، إلى أن ينظر في الأمر رجل آخر عاقل مُتجرّد من الهوى؛ فيدرك بعين عقله ما فات الأول من الحقائق. وأما السبب

⁵³ الرازي، الشكوك، 1.

⁵⁴ الرازي، الشكوك، 1.

⁵⁵ الرازي، الشكوك، 1.

⁵⁶ الرازي، الشكوك، 2.

⁵⁷ الجاحظ، كتاب الحيوان، 327.

الثاني فهو "موضوعي"، من أجله يستدرك المتأخرون على المتقدمين؛ إذ المعرفة في اطرادها الزمني الأفقي تزداد وتقترب من الكمال، وهذا بموجب التراكم الحاصل في جدلية السابق واللاحق. أو بلغة الرازي "الرجل القديم" يصير سببا يُسهّل "للرجل المتأخر"، في الزمن القصير، استخراج ما لم يستطعهُ الأول في الزمن الطويل⁵⁸. شريطة أن يكون المتأخر مكملا للمتقدم، وإلا كان كالمورث يكتسب دون مشقة أو عناء!

لذلك، لا يجد الرازي غضاضة في إثبات نتيجة الاجتهاد والاعتناء في التحصيل، إذ ليس: « يمنع من عُي في أيّ زمان كان أن يصير أفضل من بقراط»⁵⁹؛ و لا يجد مانعا في أن يضع نفسه في مرتبة المجتهدين، فيقارن نفسه بالأطباء المتقدمين المجتهدين، الذين قَصُرَ بهم اجتهادهم، لا عجزهم، عن إدراك الفروق بين أسباب الأمراض و دلائلها، إلا ما حصلوه من الكتب و فاتهم أن يقفوا عليه مشاهدة و استنباطا؛ و هو ما أشار إليه في صدر كتابه "الفروق": « رأيت أن أجمع كتابا فيما يشتهه من الأسباب و الدلائل و الأمراض. وأجمع فيه من كل مشتركين ومتشابهين منهما، ثم أفرق بينهما ... وهذا شيء لم يسبق إلى مثله من تقدم لا لعجزهم بل لأنهم في رتبة الاجتهاد»⁶⁰. ومنه، يمكن للمتأخر أن يدرك ما لم يدركه المتقدم إذا كان ناظرا، ويمكن التابع أن يفضل المتبوع إذا كان مستقصيا. و عليه، بات هذا المعنى قناعة راسخة لدى الرازي، و حقيقة ما فئى يتشبهت بها و يقرؤها دائما؛ كما في مناظرته مع غريمه أبي حاتم الرازي فيقول: « اعلم أنّ كل متأخر من الفلاسفة إذا صرف همته إلى التّظر في الفلسفة و واضب على ذلك و اجتهد فيه و بحث عن الذي اختلفوا فيه لدقته و صعوبته عِلمَ من تقدّمه منهم و حفظه و استدركه بفطنته و كثرة بحثه و نظره أشياء أُخر، لأنه مهتر بعلم من تقدّمه و فطن لفوائده أحر و استفضلها إذ كان البحث و النظر و الاجتهاد يوجب الزيادة و الفضل»⁶¹. فالرازي من خلال دعوته للنظر والبحث والشك، يُعبّر عن موقف فلسفي مفتوح؛ يرفض من خلاله الانتقاء والتخصيص والاستثناء، ولو على شخصه. وهو يُعرب عن موقف تُغذيّه ثقة كبيرة، وهي فُدرّة الإنسان على اكتساب المعرفة؛ شريطة ألا يضرب عن التساؤل صفحا. لذلك يُعقّب على أبي حاتم بأنّه لم يَخَصّ بالعلوم دون غيره، ولكنّ الفرق يكمن في الاجتهاد من عدمه؛ أو فيمن أخذ بحظ وافر من المعرفة لأنه استعدّ لذلك، ومن حرّمها لا لنقص فيه بل لإضرابه عن النظر والفحص⁶². وعندما يتوقف الإنسان عن استخدام عقله، وهو العطية الإلهية العادلة، يكون مُخطئا. فالرازي يرفض الفوارق بين الناس، بدعوى أن الله حكيم ورحيم لا يُفضّل بعضا دون بعض⁶³ ولا يجعل بعضا دليلا للبعض الآخر؛ بل يُلهمهم معرفة منافعهم في عاجلهم وأجلهم حتى لا يتنازعا فيهلكوا، وهذا خير لهم من أن يجعل بعضهم

⁵⁸ الرازي، الشكوك، 2-1.

⁵⁹ محمد كامل حسين، 'طب الرازي'، 138.

ما يشهد على ثقة الرازي بنفسه وقوة شخصيته المعرفية، وصفه لكتاب "الفصول" لأبقراط بالمختلط؛ وهو دليل على أنه كان على قدر واسع من المعرفة الطبية. يقول في مسهل كتابه: "دعاني ما وجدت عليه فصول ابقراط من الاختلاط و عدم النظام و الغموض والتقصير عن ذكر جوامع الصناعة كلها أو كلها": انظر: أبو بكر الرازي، كتاب المرشد أو الفصول، 17.

⁶⁰ أبو بكر الرازي، كتاب ما الفارق أو الفروق، 2-1.

⁶¹ Al-Rāzī, *Raziana II*, 198.

⁶² الرازي، الشكوك، 193.

⁶³ Al-Rāzī, *Raziana II*, 129.

"أئمة" لبعض؛ ويعتقد الكل مذهبا واحدا فيألموا. فَرَفُضُ "الثبوة الخاصة" أو "الإمامة الخاصة" بالأحرى؛ معناه التشدد في التعامل مع "الأدعياء" الدينيين، الذين يراهم الرازي خطرا داهما على الفلسفة وسببا في فشلها؛ واحتكار النبوغ أو الثبوة "الطبيعية" فيه مفسدة ضرر. وعليه، فإن المرید الذي في أول الطريق، إذا لم يتمكن من تطهير نفسه بالفلسفة، يصبح شيطانا يُغوي إماما مُزَيِّفا أو نبيا كاذبا⁶⁴.

إن حرص الرازي لإمضاء العدل على نفسه، إنما هو ذريعة لإمضائه على الآخرين كذلك؛ فهو يدعو لذلك كل من يُحب العلم لنفسه، ويعنيه الحق لذاته إلى النظر في كتابه – كتاب الشكوك- بعين العدل⁶⁵. ويظهر روحا علمية عالية وتجردا عقليا ساميا، حتى عند الإقرار بمثالبه واشتباهاهات نفسه، فيعتبر أنّ ما يُجربه على غيره من الفلاسفة ينسحب عليه من باب أولى؛ لذلك يرى أنّ منزلته عند من وضع شكوكا عليه كمنزلة جالينوس عنده⁶⁶. و الحقيقة في كل هذا، أنّ الرازي يُقرّر إجمالا، و من منظور تاريخ العلم، أنّ العالم الذي لا يستند على الأوائل ولا يتصل بهم، عمره قصير "محصور"؛ لا يسعه أن ينتج معرفة و لو أفنى عمره محصّلا، بيد أنّ الذي يستند عليهم يحصّل معرفتهم و يتجاوزهم كذلك؛ بانخراطه في عمر المعرفة الطويل، الذي يساوي عمر جهود العلماء في الزمن؛ فالصناعة : « لا يمكن الواحد إذا لم يحتدّ فيها على مثال من تقدّمه أن يلحق فيها كثير شيء، و لو أفنى جميع عمره فيها، لأنّ مقدارها أطول من مقدار عمر الإنسان بكثير، و ليست هذه الصناعة فقط، بل جل الصناعات كذلك، و إنما أدرك من أدرك من هذه الصناعة إلى هذه الغاية، في ألوف من السنين، ألوف من الرجال، فإذا اقتدى المقتدي أثرهم صار كمن أدركهم كلّهم في زمان قصير، و صار كمن قد عمّر تلك السنين»⁶⁷. وهذا ما يُحيلنا إلى نوعين من الأعمار؛ عمر "متصل" بخط المعرفة فهو "ممدّد" وعمر "متفصل" عنها فهو "محدّد".

7. مدار التّصويبات في "الشكوك"

يتعرض الرازي في الكتاب الذي نحن بصدده، لإحد عشر كتابا من كتب جالينوس؛ بدءًا من كتاب "البرهان" إلى كتاب "الفصول". فيجمع فيه، كما جرت العادة عند القدامى، بين الطبي والفلسفي⁶⁸. على

⁶⁴ Okba Djenane, 'Le Corps Souffrant Au Regard de La Philosophie Médicale Chez Al-Rāzī (865 ?- 925 ?)', 57-58.

⁶⁵ الرازي، الشكوك، 87.

⁶⁶ يذكر الفيلسوف الإسماعيلي محمد بن سرخ النيشابوري (ت. 600هـ/1204م)، أن رجلا معاصرا للرازي وضع كتابا في الشكوك على الرازي؛ انظر مقدمة محقق، كتاب الشكوك على جالينوس، 177؛ كما يذكر الرازي رجلا آخر- لا يُصرّح باسمه- كان يقرأ معه كتب جالينوس، يعترف له بعلوّ الحجّة عليه، يقول: "ولقد كان رجل وجيه بمدينة السلام ممّن يميل إلى أرسطاطاليس يقرأ معي كتب جالينوس فإذا بلغ إلى أمثال هذه المواضع [أي المواضع التي تحتاج إلى فضل بيان] أكثر لومي وتعني على تفضيله وتقديمه، وكان يعلم الله- كثيرا ما يخجلني علو حجّته عليّ في أمثال هذه الأشياء."، الرازي، الشكوك، 49.

⁶⁷ حسين، 'طب الرازي'، 134-135.

⁶⁸ يستنكر موسى بن ميمون (ت. 600هـ/1204م) على الرازي اعتراضاته التي جاءت فلسفية دون المسائل الطبية، لكن جالينوس نفسه تعرّض في مؤلفاته الطبية إلى مسائل فلسفية؛ كالحديث والقدم ... وله كتاب " في أن الطبيب الفاضل يجب أن يكون

اعتبار أنهما صنوان لا يفترقان؛ تحقيقاً لمعنى الحكمة بشقيها النظري "الفلسفة" والعملية "الطب"، وهكذا كان دأب أطباء الإسلام في الجمع بين طب البدن وطب النفس؛ إذ "الطب فلسفة البدن والفلسفة طب الروح". وتظهر سمة الكتاب الأساسية، في نقض نظريات جالينوس التي أخذها أتباعه بشكل وثوقي، مع إدلاء الرازي بكثير من آرائه الفلسفية الميتافيزيقية والمنطقية والطبية، والسريية خاصة. وقد ذكر الرازي كتباً لجالينوس في شكوكه عليه؛ منها "آراء بقراط وأفلاطون"، "الأخلاق"، "أصناف الحميات"، "الأعضاء الأئمة"، "البحران"، إلخ.⁶⁹ كما ذكر آراء حكماء وفلاسفة يونانيين؛ من مثل أفلاطون، وأرسطوطاليس وأبقراط، إلخ.

ولأن الكتاب غزير المادة ولا يمكن لمقال محدود أن يحيط به؛ نجتزئ منه أمثلة موجزة على منوال الآراء الواردة فيه؛ لاعتراضات الرازي وشكوكه على جالينوس، والتي تتشابك فيما بينها بشكل لا يكاد ينفصم أحياناً. والرازي في شكوكه ملتزم بذكر ما هو حق فقط؛ أي ما يعتقد جالينوس رأياً وحاد عنه، إذا ما نُظِر إلى طريقته التي يسلكها في غالب الأمر.

ففي كتاب "البرهان" مثلاً، ينقض الرازي الدليل الذي يسوقه جالينوس؛ لإثبات عدم فساد العالم أو أزلية الكون، مستنداً على دليل حسي تجريبي. فيناقشه منطقياً كما يلي: «إن جالينوس قد منع بل حكم في المقالة الرابعة من البرهان بأن العالم لا يفسد و ذلك أنه قال: لو فسد العالم لكانت لا تلبث الأجسام التي فيه بحال واحدة بعينها و لا الأبعاد التي فيما بينها و المقادير و الحركات، و كان ينبغي أيضاً أن يفنى ماء البحر الذي قبلنا و ليس شيء من هذه الأشياء زائلاً عن حاله أو تغيّر، وقد رصدها المنجمون ألوفاً من السنين كثيرة فيجب إذن أن يكون العالم ألا يهرم فهو إذن غير قابل للفساد»⁷⁰. والظاهر أن فكرة جالينوس مُستلّمة عن كتاب (On the Heavens) لأرسطو؛ إذا كان العالم لا يتغيّر في خصائصه فهو لا يفسد، وهو غير مُتولّد بالتالي⁷¹.

و بعد أن يُبين له أنه خالف نفسه في كتابه "ما يعتقد جالينوس رأياً"، والذي ألفه بعد نضج آرائه، وكتاب "الصناعة الطبيّة"؛ و أنه حاول أن يُبرهن على إمكانية القول بقدوم العالم أو حدوثه، و في المقالة الرابعة من نفس الكتاب- أي البرهان- يُقرُّ بأن "ما لا يفسد فليس بمكوّن" و "أن العالم ليس بمكوّن"؛ فيكون قد ناقض نفسه في قوله: "أنه لا يُمكن أن يُعلّم أقديم العالم أم مُحدّث"، بعد مناقشة مقدماته الفاسدة؛ و ذلك بأخذه مقدمات ليست كذلك و توالياً لا تلزم عنها ضرورة: «و بالجملة فإنه لا يصح أن العالم لا

فيلسوفاً". زيادة على هذا، يَعتبر ابن ميمون الرازي أنه مجرد طبيب، وأن كتابه "العلم الإلهي" لا يساوي شيئاً، انظر: كتابه "دلالة الحائرين"

Moïse Maïmonide, *Le guide des égarés*, 435-436.

⁶⁹ ومنها أيضاً: كتاب في الأسطقسات على رأي أبقراط؛ كتاب المزاج؛ كتاب العلل والأعراض؛ كتاب الصناعة الصغيرة؛ كتاب تديير الأضحاء.

⁷⁰ الرازي، *الشكوك*، 3.

⁷¹ Aristote, *Aristotle on coming-to-be & passing-away*, 319b-322b.

يفسد ولا بواحد من المقدمات التي قَدَمَها في هذا الموضوع من هذا الكتاب، ولا هي أيضاً أوائل كما اقتضيتها وأخذها على أنها أوائل، وليس يصحّ أنّ العالم لا يفسد دون أن يصحّ أنّه لا نهاية له أو أنّه لا شيء غيره.⁷² ولا يجد الرازي عناءً في دحض حجة جالينوس وتفتيتها، بالقول بأن العالم يظل على حاله مدة طويلة، ثم يتفوق له أن يفسد مرة واحدة: «وإذا كان ليس سبيل كلّ فاسد أن يكون ذلك يقع به على سبيل التناقض و الذبول بل قد يكون يمكن أن يفسد الشيء وهو أعظم ما كان وأكمله، كالبيت المبنى على عمَد إذا جُرّت عمدته من تحته، وكالشجرة التي تقلع، والنار التي تطفئ ونحو ذلك.»⁷³ فعَدَم فساد الكون لا يعني ولا يُلغِي تَهْيُؤَه الطَّبِيعِي لِلْفَسَادِ.

و اهتمام الرازي بتعليق جالينوس على هذا الجزء، قائم في الحقيقة على خلفية ميتافيزيقية ولاهوتية؛ إذ يعترض على جالينوس في اعتقاده بغائية العالم؛ وعدم إعطاء الأسبقية لفكرة "التيودسية (Theodicy)"⁷⁴ على علم الكون والأحياء، وهو ما يُعيق فهم أو تبرير الشّرّ في العالم في نظر الرازي، و يحمله على أن يسأل: عن الحكمة من الخلق مع وجود الآلام: «ما وجه الحكمة والنظر والوجود في جميع ما يقع من ألم بالحيوان من الطبيعة ومن بعضها ببعض في خلق الخنافس والأخناش والحشرات كالذباب والديدان ونحوها؟ وإن كان ذلك إنما يقع من أجل رداءة المادة واختلاف جواهر النفوس فهلاً تركها منفردة غير مزدوجة ليريحها من هذه الآلام إن كان حكيماً ناظراً... ففي كلّ هذه المعاني نحتاج أن نتكلم وكل هذه الشكوك تحتاج أن تحلّ ولم يتعرض لشيء من ذلك ولا في واحد من كتبه التي قرأنا ولا أدلّ ولا أرشد إلى موضع قد بين فيه هو هذه المعاني أو بينها فيه غيره.»⁷⁵ وقد منحت تعاليق الرازي هذه لاحقاً؛ إمكانية إعادة صياغة جزء من أطروحة جالينوس الضائعة، مُتمثلاً في المقالة الرابعة من كتاب البرهان (On Demonstration)⁷⁶.

كما يستنكر الرازي على جالينوس محاولته تعميم رأيه في "الإبصار": «معتبراً إيّاه أمراً مُتَّفَقاً عليه عند عموم الناس، فيستدرك عليه متعجباً: «و ما أدري كيف استجداد لنفسه الإقدام على هذا وهو يعلم أنّ ناساً كثيراً يخالفونه في ذلك، و لستُ أشكّ أنّه كان يعلم مخالفة أرسطاطاليس له.»⁷⁷ ثم يُعلّق على رأيه، مُعتبراً إيّاه نتيجة تربية وثوقيّة و امتثال الأحكام مُستَقّة، تجعل المرء لا يقبل من يُخالف رأيه أو يذهب مذهبه، و إلا لما فاتته أمور هي من القُرب و البساطة بمكان، ذلك: «إنّ طول الاعتقاد للشيء يدعو إلى الإلّف له و الأُنس به و الاستنكار لما خالفه و لولا ذلك لم يكن ليذهب مثل هذا الشيء القريب على جالينوس و لكن من أجل أنّه منذ صباه كان منغمساً في آراء أصحاب التعاليم و كان والده مهمّ ندبته الهوى إلى هذه

⁷² الرازي، الشكوك، 5-6.

⁷³ الرازي، الشكوك، 4.

⁷⁴ تبرير الخير الإلهي من خلال دحض الحجج المبنية على وجود الشر.

⁷⁵ الرازي، الشكوك، 16.

⁷⁶ Pauline Koetschet, 'Galien, al-Rāzī, et l'éternité du monde. Les fragments du traité sur la démonstration, IV, dans les doutes sur Galien', 220.

⁷⁷ الرازي، الشكوك، 9.

الناحية فاستنكر ما ليس بمستنكر بل محسوس مشاهد»⁷⁸.

و في فقرة لاحقة يُبين خطأه في الإبصار؛ إذ يعتقد جالينوس أن الإبصار إنما يكون بفعل الضوء الخارج من العين، و هي فكرة عن أفلاطون في طيماوس (Timée): « قال جالينوس: "تجيء عصبه من الدماغ إلى الرطوبة الجليدية كما يشعر الدماغ بما يحدث في تلك الرطوبة من الآثار"»⁷⁹؛ أي أنّ الروح تَبْتُ عبر العين هواءً يتصل مع الموضوع المرئي. لكنّ الرازي يُحيله إلى رأيه في "البرهان" الذي أقرّ فيه: أن "الجليدية" تتأثر بما يجيئها من خارج فيؤثر فيها. فيطرح رأي جالينوس و يذهب إلى أنّ الصور المعنوية المُستقبلة؛ هي التي تصل إلى العين من الموضوع المرئي: « و هذا يدعوا [كذا] على أن الإبصار إنما يكون بامتداد أشباح المبصرات إلى الرطوبة الجليدية لا بأن يبدر منها نور يلحق المبصرات.»⁸⁰ ويمضي الرازي في بسطٍ تشريحي، يناقش فيه علاقة العضو بوظيفته، ليضعنا أمام مسألة ذات طبيعة فيزيائية ولاهوتية؛ حصيلتها البحث عن الأساس الذي بموجبه يتمّ تنظيم العالم بأفضل صورة؟

و في فقرة أخرى، يُبين الرازي الخُلفَ والتناقض في حكم جالينوس على النفس، أنّ لها إتيّة وأنها جوهر قائم بذاته عن الجسد مرّة في كتابه "في منافع الأعضاء": وما ضَمَّنَه من عَدَم تَبَاتٍ في الحكم وتَمَلُّلٍ في الرأي مرة أخرى في "آرائه"، أو ما تَبَنَاه كذلك في أنّ النفس هي بُخار الدّم والرُّوح، في كتابه "في أنّ قُوَى النَّفْس تابعة لمزاج الجسد". فيقول: « فليت شعري كيف يجوز للحكيم الصادق الاستهانة بالمناقضة و القول في شيء واحد بقولين مختلفين بحسب ما يحتاج إليه في غرضه الذي يقصده، فإنّه لما احتاج في هذا الكتاب إلى الإخبار بمنافع الأعضاء أخذ النفس على أنّها جوهر لها ذات و إتيّة قَبْل البدن و دونه، و أمّا في الموضوع الآخر فإحداها على أنّها بعض الأعراض الحادثة بعد البدن و عنه»⁸¹؛ وهذا يدل على استعمال القول حسب السياق، أو بعبارة أخرى: أيُّ عُنُق الدَّلِيل وفق الغرض المقصود؛ مما يدفع للتشكُّك عليه بشكل مضاعف و دون عناء. والرازي في عدم موافقته على أنّ النَّفْس تابعة أمزجتها لحالات الجسد، يُظهر نزعتَه الأفلاطونية⁸²؛ عندما يرى أنّ الجزء العقلاني من النَّفْس هو الذي يستعمل الدماغ، وضرر هذا الأخير يُؤدّي إلى ضرر الوظيفة العقلانية؛ كما تُعطل آلة العزف العازف؛ فأفلاطون على رأيه «يقول له إن هذا الشّرّ والرّداء لم يقع في جوهر النَّفْس كما إنك إن حدثت على عود العوَاد و زمر الرّمار حادثة رديّة كان الإيقاع و الرّمز مختلطاً مستويا رديا بحسب الحادث و إن كان للموسيقار سليما باقيا على حاله و حذقه.»⁸³.

⁷⁸ الرازي، الشكوك، 10.

⁷⁹ الرازي، الشكوك، 18.

⁸⁰ الرازي، الشكوك، 10؛ Pauline Koetschet, 'Abū Bakr al-Rāzī on Vision', 175.

⁸¹ الرازي، الشكوك، 14-15.

⁸² في كتابه "الطب الروحاني" يُقدم الرازي وجهتيّ نظر متميزتين؛ عمن يُنكر خلود النَّفْس و من يؤمن بهذا الخلود؛ لتأسيس أخلاق مبنية على النظرية الأفلاطونية في النفس. وفي الفصل العشرين "في الخوف من الموت"، يُبين موقفه من مسألة خلود النفس.

Al-Rāzī, *La médecine spirituelle*, 183.

⁸³ الرازي، الشكوك، 69.

أما في الصناعة الصغيرة فهو يُنَبِّهه إلى ما يجب عمله، إذا رام تعليم الطب عن طريق تعريفه، أن يضع له حداً مختصراً قائماً على فصوله؛ وهي المعرفة بالعناصر و الأمزجة و أنواع الحميات و الأمراض و الأسباب و الأغذية و الأدوية و التدبير، و هي مأخوذة من غرضه؛ فالطب حسب الرازي: « هو علم الأشياء التي يحتاج إليها حفظ الصحة و الرية و هو [تدبير] الأمراض بمقدار ما في وسع البشر ما أمكن في كل واحد من الأبدان»⁸⁴. وهو يحتاج لبلوغ هذا العلم المعرفة بالعناصر (الأسطقسات) (στοιχέιο) و الأمزجة، و أنواع الحميات و أسباب الأمراض و الأغذية و الأدوية.

وفي كتاب "الاسطقسات" يرى جالينوس أن الإنسان غير مركب، إذ لو كان كذلك لما استحال و لما تحرك و لما تألم بالتالي؛ لأنه يحتاج في هذا إلى أن يكون حاساً و مستحيلاً. لكن الرازي يعترض عليه بقوله أن « الإنسان مركب من نفس ذات حس و حياة [كذا] و من جسد مركب ضرورياً من التراكيب منها أول و ثاني و ثالث هو يحسّ بالنفس التي له و يقبل التأثير و الاستحالة بخلع هذا التركيب الأدنى فالأدنى إلى أن يصير إلى خلع جميع التراكيب الحادثة في جوهره التي منه قوام حسّه، ولا يقبل بعد ذلك تغييراً و لا استحالة تدعوا [كذا] إلى تصاغر الجزء لأنه ليس في المادة شيء أصغر من ذلك الجوهر... و لذلك هذا القول لو كان الإنسان شيئاً واحداً لما كان يألم و لو ألم لكان شفاه يكون بشيء واحد فإنه لا يناقض أهل هذا الرأي البتة»⁸⁵. وفي هذا الججاج، يبني الرازي فكرة تركيب الإنسان على فكرة الاستحالة أو التحول، والتي تقوم بدورها على فكرة الأجزاء الفاعلة أو الذرات "الجوهر الفرد"، والتي استلهمها من فيلسوف الذرة ديموقريطس (ت. 370 ق.م)⁸⁶. وهي فكرة يستغلها الرازي في مفهوم الألم الجسدي خاصة؛ لأن الإنسان لو كان شيئاً واحداً، لم يُسعفه أن يتألم أو أن يمرض؛ ولو ألم لكان شفاؤه على قدر ألمه، أي بشيء بسيط غير مركب. و الجانب الذري في فلسفة الرازي، و جد صورته في فهم الطبيعة الجسدية المادية للمرض، كما وجد مدها في فهم المرض بناءً على الدور الكيميائي للذرة؛ يقول: « فمتى لاقى جسم الإنسان جسم مخالف [كذا] له في تركيبه كالتار مثلاً رامت حلّ تركيبه الخاص به و إحالته إليها، و أحسب بذلك النفس و كان ألم و استحالة وإذا لاقى جسماً غير حي كانت استحالة و لم يكن ألم فلأن الأجسام كثيرة مُفَنّنة في التركيب تكون ضروب القوى منها على إيلام الحيوان مختلفة و يكون شفاها و راحتها بما يحدث فيها ضد الحادث الأول»⁸⁷. و مع أن الرازي أخذ عن جالينوس المفهوم الأفلاطوني للذرة، و الذي طبّقه بثبات على نظريته في الأخلاق، التي تظهر في كتابه "الطب الروحاني"، نجده يُنَبِّه مُعَلِّمه في خطأ القول بفكرة رجحان اللذة على الألم، و هو مناقض لكلامه و كلام جميع فلاسفة الأخلاق، و يحيله أخيراً لأفلاطون و سائر الحكماء الطبيعيين الذين: « إن أجمعوا على

⁸⁴ الرازي، الشكوك، 64.

⁸⁵ الرازي، الشكوك، 40.

⁸⁶ وهذا ما يؤكده الرازي في استعارته لمذهب القدماء الخمسة الأثرية (الله، النفس، المادة الأولى "الهيولى"، المكان المطلق، والزمان المطلق) من فيثاغورس و ديموقريطس، من خلال تصريحاته في "العلم الإلهي" حيث يعتمد على ديموقريطس من جهة، و من خلال إشارته إلى أفلاطون في حوار مع أبي حاتم الرازي من جهة أخرى.

Al-Rāzī, Raziana II, 198.

⁸⁷ الرازي، الشكوك، 41.

أَنَّ اللَّذَّةَ رجوع إلى الطَّبيعة بالرَّاحة من مولم [كذا]، وليس في الحكمة و التَّنظر للمصوَّر أن يخلق خلقةً لا ينفكَّ فيها من ألم أو راحة من ألم كان منفكا منهما في حالته الأولى، مع أن هذا الكلام يناقض كلامه و كلام جميع الفلاسفة في إصلاح الأخلاق.»⁸⁸

وفي كتاب الفُصول، يذهب جالينوس إلى أنَّ أعظم علل الجذب "المُوافقة". لكنَّ الرازي يُبدي شكه ويعترض على هذا الرأي قائلاً بأنَّ حدوث الجذب بدافع "المُخالفة" عوضاً عن الموافقة؛ وتعليل ذلك: أنَّ الجذب لا يشترط أن يكون الشيطان المتجاذبان متشابهين أو متوافقين في الطبع وأجزاؤهما من جوهر واحد؛ فرغم أنَّ الحديد أنسب وأوفق للحديد، إلا أنه ينجذب للمغناطيس⁸⁹. كما لا تكون الموافقة باعتبار الكم، لأنَّ لا نجد قطعة الحديد الكبيرة تجذب قطعة الحديد الصغيرة؛ أمَّا كيفاً فالموافقة الطبيعية مُرتفعة، لِتُحلَّ المخالفة والمضادة والمنافاة بدلاً عنها⁹⁰.

زيادة على التصويبات المنطقية والفلسفية والطبية، تقدم الرازي بتصويبات سريريَّة كذلك؛ حيث تجاوزت مشاهداته الإكلينيكية مشاهدات جالينوس بكثير، إذ عاين حالات عن أنواع الحُمى في مستشفى بغداد، ولاحظ عدم تطابقها مع التطورات التي وصفها جالينوس، فهي نتائج غير قابلة للتكرار. كما سجَّل حالات جرَّت أو صدَّقت بحسب الوصف النظري، وطرح حالات لم يصدق عليها الوصف أو الحكم؛ تجنباً لتأسيس حكم كُلي وعلاج عام على حالات قليلة خاصة، رفضاً للاستقراء والحجة بالمثال⁹¹. فكان منه أن أمسك عن الإنذار أو تقدِّمة المعرفة (Pronostic) بما هو كائن لما سيكون بالتنبؤ؛ فجالينوس لم يظهر رغبة في تعديل نظريته الطبية، كما لم يتمكَّن من تأسيس افتراضاته بشكل كافي، رغم ما يشوبها من نقص حتى لا يكون مخالفاً لأهدافه⁹².

وعلى الرغم من حضور المشرب الجالينوسي، في الإبيستيمولوجية الطبية لدى الرازي، إلا أنه أبان عن مساهمة ولمُسة خاصة، لاسيما في المجال الإكلينيكي؛ الذي يقوم على الملاحظة المتسائلة، والتصنيف والتشخيص التفريقي المُقارن⁹³ والعزل والاقصاء، زيادة على الاحتراس في التنبؤ واستصدار الأحكام؛ إلا إذا قام دليل قوي واضح يُسوِّغ ذلك، وهذا بعد شكٍ منهجي يُمتحن بالتجربة والقياس؛ متحرِّياً في ذلك عدم الجناية على المريض ولو خطأً. وإثباتاً لما دُكر نُورد فقرة من "الشكوك" لأهمَّيتها، توجز لنا نوعية هذا التبرُّج العلمي الصَّارم:

⁸⁸ الرازي، الشكوك، 17. كما يمكن مقارنة كل من تعريف الرازي للذة في "الطب الروحاني"، و تعريف أفلاطون من رسالة تيماموس (Timée) عبر جالينوس، انظر:

Abū Bakr al-Rāzī, *Opera philosophica*, 140.

⁸⁹ الرازي، الشكوك، 33.

⁹⁰ الرازي، الشكوك، 34.

⁹¹ Koetschet, "What Level of Certainty Can Medical Sign-Inference Reach?", 277, 285.

⁹² Savage-Smith, "La Médecine," 170.

⁹³ الرازي، كتاب ما الفارق، 1.

«وكم قد ترصدت في البيمارستان⁹⁴ ببغداد و في الرِّي و في منزلي سَنَبَيْنَ كثرة هذه المعاني [يَقصد صُور الخُميات و أوقاتها]، أثبت أسماء من كان أمره جرى على حكم هذه الكتب، و أسماء من جرت حالته على خلاف ذلك على حده، فلم يكن عدد من جرى أمره منهم على الخلاف بأقلّ عدد فينبغي أن يطرح و لا يعنى به لحكم سائر الصناعات، بل شيء كثير لا ينبغي لعامل محترس أن يبتغي معه بهذه الطريقة غاية الثقة و يركن إليها و يطلق القول بتقدّمة المعرفة أو ينزع العلاج و التّدبير بحسبها، و ذلك أن من جرى أمره على الخلاف و قد كانوا على الثّمانيّة من نحو ألفي مريض، و من ذلك أمسكت عن الإنذار بما هو كائن إلّا حيث كان الأمر من وضوح الدلائل و قوتها ما لم يلزمي فيه شك و بقيت زمانا أطلب بالتجربة و القياس تديراً للأمراض الحارّة حريراً أمن معه أن أجي على المريض الخطأ مع إن أخطأت إلّا بطول مدة العلة حتى وجدت، و لولا أني أكره تطويل كتابي هذا به إذ ليس موضعه لذكرته.»⁹⁵.

يُنوّه الرازي هنا للمعنى الإكلينيكي⁹⁶ للفعل العلاجي بفحص المريض سريرياً، خاصة في المستشفى؛ على اعتبار أنّ هذا الأخير يمنح الطبيب فرصة التحليل المنهجي لحالات عامة لا حالات فردية؛ لأنّ الحالات العامة تأخذ بتردّدها معنى الظاهرة المُطرّدة. وعليه، يمكن تصنيفها على أساس من التماثل والتشابه، بينما تبقى الحالات الخاصة خارج المستشفى، مُجرّد حالات فردية ومعزولة دائماً. ومن هنا تظهر خطورة المستشفى وأهميته؛ كمجال تتجمع فيه عدة حالات لعدد من المرضى، تسمح بمقارنة واستفهام الحالات المرضية أو المجموعات الضابطة⁹⁷؛ لتلافي الخطأ في التشخيص و صرف الدواء والوقوف على معنى للألم في النهاية.

أخيراً، يخرج الرازي عن المسائل الطّبية والفلسفية؛ فيعترض على جالينوس في مسألة اللّغة، ويعيب عليه قوله في امتحان اللغات، مُستثنياً اللّغة اليونانية طبعاً. وبقدر ما في كلام جالينوس من البساطة والسّذاجة، حسب الرازي، ما جعله يتميّز لو أنّ غيره قاله. فجالينوس يرى أنّ اللّغة اليونانية أجمل اللّغات وأغذؤها نطقاً؛ وهي زيادة على ذلك شبيهة بلغة الألسن ويسيرة لذوي النطق، بينما رأى في سائر لغات العالم لغات فضلة أو زائدة؛ فمنها ما هو أقرب لصياح الخنازير ومنها ما هو أشبه لنعيق الضفادع، فضلاً على وعودة وثقل المخارج فيها حسب رأيه. لكنّ الرازي يرى شططاً في حكم جالينوس، وهو كلام جميل ومقبول

⁹⁴ "بيمارستان" أو "مارستان"، لفظ أصله فارسي؛ وهو عدل ما نسّميه اليوم "مستشفى". وهو مركّب من عنصرين: "بیمار" ويعني "مريض" و "ستان" ويعني: "مكان أو ملجأ". تُعطي ترجمته الحرفية: "مكان المرضى". وبخصوص بناء مستشفى بغداد، اهتدى الرازي إلى أسلوب "مُتمرّد"! فعوضاً عن تبي الأساليب القديمة، استخدم أسلوب القوة الغاشمة (Brute force method)، الذي يهدف إلى تحقيق نتيجة مباشرة بقليل من الفكر؛ فتمكّن بواسطته من اختيار الموقع المناسب، من بين المواقع المرشحة؛ من خلال مؤشّر اللّحوم المتعقّنة.

Cooper, "Al-Rāzī's Doubts about Galen," 264.

⁹⁵ الرازي، الشكوك، 63.

⁹⁶ معنَى كَلِمَة كلينيك (Klino)، تُعطي فكرة: "التدريس على المريض وهو مستلقٍ أو مُمدّد على سرير". أو ما يتعلّمه الطبيب بفحص المريض سريرياً؛ انظر:

Moulin, *Histoire de la médecine arabe*, 41.

⁹⁷ Peter Pormann, "Medical Methodology and Hospital Practice," 95ff.

شريطة أن يُعرَى «من الهوى والميل فإنّ هذا كلام عوام النَّاس ومن لا يدري إلا أنّ الألفاظ إنّما يَخَف وَيَعذب بالاعتیاد، وأنّ لغة العرب عند العرب كلُّغة اليونانيين عندهم، وأنّ العرب يستثقل لغة الرُّوم كما يستثقل الرُّوم لغة العرب، وأنّ الإنسان يستثقل غير لغته ويعسُر عليه التكلُّم بها حتّى إذا كثرت [كذا] استعمالها خفّت عنده بعد الثَّقَل وسهلت بعد العسر»⁹⁸. وعلى وجهة ما ساقه الرازي من حُجة: في سياق المفاضلة بين اللُّغات، نجده ينتقي عباراته بعناية وحساسية؛ تحسباً لمكانة معلّمه وقداسته صورته في مُخيلة أتباعه، مُقارنة بعبارة ابن حزم (ت. 1064م) الشديدة في السياق نفسه⁹⁹.

8. الخاتمة

حاول البحث تقديم موقف أبي بكر الرازي- أكبر شخصية من الطبقة الرابعة في سلسلة الأطباء المسلمين في تاريخ العلم- إزاء سلطة علوم الأوائل في الفلسفة والطب؛ وذلك بمحاولة إبراز مكانم التأصيل في فكره، من خلال جرّأته في الاستدراك على معلّمه؛ في كتابه " الشكوك على جالينوس ". وقد حاول البحث تقصي منهج أبي بكر الرازي المعرفي في شكوكه، مُقدِّماً جملة من المباحث والمطالب؛ لتحقيق فهم أكثر عمقاً ضمن سياق تاريخي وفكري؛ قصد الوقوف على معالم شخصيته وموقفه من علوم الأوائل. الأمر الذي سمح لنا تبين منهجه المعرفي النقدي في الشكوك وخصائصه مقارنة بمحاولات أخرى؛ وذلك من خلال استعراض أمثلة عن هذه الشكوك. وهو ما أعطى لنا صورة عن الطبيعة الفلسفية للعلم آنذاك، زيادة على أثر هذا المُصنّف في الفلسفة العربية والإسلامية.

لقد مثل الرازي بحق نموذجاً لاتجاه معرفي مُتفرد؛ تمثّل في محاولة تشكيل ملامح شخصية علمية أصيلة، مُتحرّرة من ربة المرجعية الإغريقية؛ وذلك بفحص ونقد ميراثها الفكري، بعد أن توارثت الأجيال عنها مسائل كانت جديرة بالتّظر، ومن ثمّ بالتّقص والتّعديل. وهذا ما تطلّب جرأة وشجاعة أدبية؛ للخروج عن هيمنة العُرف والتقليد المعرفي السائد. وتُظهر مجازفة الرازي النقدية لجالينوس، إمكانية النظر في نتاج الأقدمين شرحاً وتعليقاً، أو حتى تعديبه إلى النقد والتصحيح إن اقتضى النظر والمنهج ذلك.

كما أنّ قراءة موقف الرازي المعرفي، تسوقنا إلى تبني رؤية إبستمولوجية مفادها: أنّ النظر الفلسفي، حسب ما يذهب الرازي إليه، هو سبب حياة المعرفة وشرط تقدّمها، وأنّ الصّبرورة المعرفية مشروطة بعدم الاستخلاص؛ الذي من شأنه أن يوقف الفعل الفلسفي ويبثّر الجهد العلمي. فالرّكن الرّكين في فلسفة الرازي المعرفية، هي فكرة تساوي الناس في نيل أفساطهم من العقل كملكة؛ شريطة الاجتهاد في التّحصيل، ونبذ التقليد الأعمى وعدم التواني في النظر. فقد أثبتت مجازفته النقدية على جالينوس إمكانية النظر في علوم الأوائل، وأنّ السيرورة المعرفية مشروطة بعدم الاستئثار، فهي تجعل من أيّ جهد معرفي مشروعاً مُرشحاً للبحث والنظر.

⁹⁸ الرازي، الشكوك، 87.

⁹⁹ يقول ابن حزم: «هذا جبل شديد لأن كل سامع لغة ليست لغته ولا يفهمها فهي عنده في التّصاب الذي ذكره جالينوس ولا فرق»: انظر: ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، 34.

ومن أهم ما توصل إليه البحث هو؛ تبني الرازي لمنهج ابستمولوجي مُبتكر وأصيل في شكوكه، حيث وُضع من خلاله قضايا جالينوس الفلسفية والميتافيزيقية والمنطقية على المحك، وذلك وفق إجراء منهجي مُوسَّع ودقيق بالنظر إلى شكوك علماء آخرين؛ يسألُ الرازي فيه سبيل المقارنة والمقابلة؛ بينَ نصوص جالينوس ونصوص مراجعته، وهذا لبيان الضعف والهشاشة في البراهين إجراءً، حتى تظهر متضاربة ومتهافئة بالتالي.

ومن التناقضات التي لاحظها الرازي؛ نجد الصِّحة المنطقية التي ظهرت على خلافٍ مع بعضها، والصِّحة التشريحية التي بدت غير متوافقة مع الاكتشافات اللاحقة. كما سعى الرازي على تطوير منهج علمي أكثر صرامة ودقة في مجال الطب؛ يعتمد الملاحظة أسلوباً مباشراً في الممارسة والتجربة كإجراء للتحقق؛ قصد تصحيح الفهم النظري من جهة، وتوجيه البُعد العملي الفَيّ "التقني" من جهة ثانية. ويحمل الرازي وجهة نظر فلسفية ولاهوتية مغايرة عن جالينوس، كما يُقدم إبستمولوجية طبية متشابكة؛ فالشكوك توسيع للأفكار الواردة عن جالينوس، خاصة ما بدأ من المناقشة الكلامية لمسألة الشر والتفسير الذري للنظرية الطبية؛ وسخَّجها على مفهوم الألم والمرض، والأخلاق كسلوك أو "سيرة فلسفية" عملية.

وقد حملت الشكوك رسالة مضمونها؛ إمكانية وضع ميراث السلطات التقليدية موضع السؤال، وعدم قبول دعواها وتعاليمها دون أدلة كافية، وكذا الدعوة إلى التفكير النقدي المستقل. فالشكوك صورة صادقة لمستوى التطور الفلسفي والعلمي لحقبة مهمة من تاريخ العلم الإنساني؛ يظهر عبرها مستوى التناول الإبستمولوجي، حيث كان البحث الحثيث لبناء مفاهيم فلسفية واضحة، وتحسين الممارسة العملية في الطب. فضلاً على أن هذه الشكوك كانت بداية لتأسيس نزعة أو اتجاه، يمكن وسمُّه "بنظرية المعرفة التقدمية"؛ و الذي يتمثل في إعطاء الكتاب أهميته ومكانته في المعرفة الإسلامية، وهو مبادرة أو خطوة متقدِّمة، سمحت للعلماء اللاحقين بالاستناد عليها في تطوير العلم، من خلال استجابات أكثر عمقاً للنظريات العلمية الراسخة، مُتجلية في "الشك العلمي" أو منحنى "الاستدراك"؛ و التي أصبحت لونا أديباً مطلوباً و مُنتهجاً في تاريخ العلم العربي الإسلامي لاحقاً؛ كاستدراك ابن الهيثم على شكوك بطليموس (Ptolémée ت. حوالي 186) و غيره.

إنَّ في فكرة قراءتنا لموقف الرازي، مدعاة لتوصية يصل إليها بحثنا هذا، وهي الدعوة إلى الاجتهاد في قراءة النصوص التراثية قراءة مغايرة ومختلفة؛ وذلك بمحاولة فهمها في سياقها المعرفي وملابساتها اللغوية من جهة، وكذا استجوابها بفُهوم وتصورات العصر وحُمولات الراهن الفلسفية من جهة أخرى؛ وهذا بقصد تأوُّل معناها وفتحها على آفاق فكرية جديدة. وبصفة خاصة، وعلى الرغم من المحاولات التي كانت في حق "كتاب الشكوك"، إلا أنه يتعين علينا إجراء مزيد من الفحص والتحليل العلمي لهذا الأثر الهام في تاريخ وفلسفة العلم عامة؛ والذي لا يلبث يكشف لنا عن رؤى ومفاهيم جديدة ومُتجدِّدة.

المصادر والمراجع¹⁰⁰

- ابن أبي أصيبعة. *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*. تحقيق رضا نزار. بيروت: دار مكتبة الحياة، 1965.
- ابن النديم، محمد بن إسحاق. *كتاب الفهرست للنديم*. تحقيق رضا تجدد. طهران Marvi Offset Printing، 1971.
- ابن بطلان البغدادي، ابن رضوان المصري. *خمس رسائل لابن بطلان البغدادي ولابن رضوان المصري*. الجامعة المصرية. مطبعة بول باربييه، 1937.
- ابن جلجل. *طبقات الأطباء والحكماء*. تحقيق فؤاد سيد. القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، 1955.
- ابن حزم، علي بن أحمد. *الإحكام في أصول الأحكام*. أحمد محمد شاكر. دار الأفاق الجديدة. 2 ج. بيروت، [د.ت].
- ابن صاعد الأندلسي، صاعد بن أحمد. *كتاب طبقات الأمم*. نشر لويس شيخو. ترجمة ريجي بلاشير. منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية. ألمانيا: منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، 1999.
- أبو بكر الرازي، محمد بن زكريا. *كتاب ما الفارق أو الفروق: أو كلام في الفروق بين الأمراض*. سلمان قطاية. 1 ج. جامعة حلب: معهد التراث العلمي العربي، 1978.
- أبو بكر الرازي، محمد بن زكريا. *كتاب الشكوك على جالينوس*. حققه وقدم له بالفارسية والعربية والإنجليزية مهدي محقق. طهران-إيران: المعهد العالي العالمي للفكر والحضارة الإسلامية، 1993.
- أبو بكر الرازي، محمد بن زكريا. *كتاب المرشد أو الفصول مع نصوص طبية مختارة*. ألبير زكي إسكندر. 2. القاهرة: معهد المخطوطات العربية، 1995.
- أبو بكر الرازي، محمد بن زكريا. *كتاب سر صناعة الطب*. ترجمة روزا كون. [د.ن.]. 1982.
- البيروني، محمد بن أحمد. رسالة للبيروني في فهرست كتب محمد بن زكرياء الرازي. تحقيق پول كراوس. باريس، 1936.
- الجاحظ، عمرو بن بحر. *كتاب الحيوان*. عبد السلام محمد هارون. 7 ج. القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، 1938.
- حسين، محمد كامل. 'طب الرازي'. في *كتاب المرشد أو الفصول مع نصوص طبية مختارة*، ألبير زكي إسكندر، معهد المخطوطات العربية، 127-172. القاهرة، 1995.
- الكردي، محيي الدين صبري، الحسين بن عبد الله ابن سينا، محمد بن أحمد ابو الريحان البيروني، و عمر

¹⁰⁰ المصادر غير العربية المذكورة بالكامل في القائمة أدناه.

خيّام. *جامع البدائع*. مصر: مطبعة السعادة، 1917.

المتنبّي، أبو الطيّب أحمد ابن الحسين. *ديوان المتنبّي*. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1970.
النشار، علي سامي، محمد عبودي إبراهيم، وعلي عبد المعطي محمد. *ديموقريطس: فيلسوف النذرة، وأثره في الفكر الفلسفي حتى عصورنا الحديثة*. الاسكندرية: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970.

Çıkar Çatışması / Conflict of Interest:	Yazar, çıkar çatışması olmadığını beyan etmiştir. / The author declared that there is no conflict of interest.
Finansal Destek / Grant Support:	Yazar, bu çalışma için finansal destek almadığını beyan etmiştir. / The author declared that this study has received no financial support.
YZ Kullanım Beyanı / Declaration of AI use:	Yazar, bu çalışmayı oluştururken yapay zeka destekli teknolojileri kullanmadığını beyan etmiştir. / The author declared that no AI-assisted technologies were used in the creation of this article.

REFERENCES

- Abū Bakr al-Rāzī, Muḥammad ibn Zakariyyā. *Abū Bakr al-Rāzī, 'Doutes sur Galien': introduction, édition et traduction*. Edited by Pauline Traducteur Koetschet. Berlin, Allemagne, Etats-Unis d'Amérique, 2019.
- Abū Bakr al-Rāzī, Muḥammad ibn Zakariyyā. *El Sirr Şinā'at al-Ṭıbb*. Trans. by Rosa Kuhne Brabant. N. p. 1 vols, 1982.
- Abū Bakr al-Rāzī, Muḥammad ibn Zakariyyā. *Kitāb Al-Murshid fī al-Ṭıbb*. Edited by Albert Zaki Iskandar. 1 vols. Cairo: Institute of Arabic Manuscripts, 1995.
- Abū Bakr al-Rāzī, Muḥammad ibn Zakariyyā. *Kitāb al-Shukūk 'alā Jālīnūs*. Edited by Mahdī Muḥaqqıq. 1st ed. Texts, Studies and Translations. Tehran: Iran: International Institute of Islamic Thought and Civilization (ISTAC), 1993.
- Abū Bakr al-Rāzī, Muḥammad ibn Zakariyyā. *Kitāb Ma'l-Fāriq Aw al-Furūq*. Edited by Salmān Qaṭāya. University of Aleppo: Institute for the History of Arabic Science, 1978.
- Abū Bakr al-Rāzī, Muḥammad ibn Zakariyyā. *La médecine spirituelle*. Edited by Rémi Brague. Paris, France: Flammarion, 2003.
- Abū Bakr al-Rāzī, Muḥammad ibn Zakariyyā. *Opera Philosophica*. Edited by Paul Kraus. Publications of the Institute for the History of Arabic-Islamic Science 1. Frankfurt am Main, Allemagne: Institute for the History of Arabic-Islamic science at the Johann Wolfgang Goethe University, 1999.

- Abū Ḥātim al-Rāzī. *Raziana II. ...: extraits du Kitāb A'lam al-Nubuwwa Abū Ḥātim al-Rāzī*. Edited by Paul Kraus. Roma, Italie: sumptibus Pontificii instituti biblici, 1935.
- Adamson, Peter. *Al-Rāzī*. New York (N. Y.), Etats-Unis d'Amérique: Oxford University Press, 2021.
- Anees, Munawar Ahmad. 'Ibn Zuhr'. In *Encyclopaedia of the history of science, technology, and medicine in non-western cultures*, edited by Helaine Selin, 1125–26. Allemagne, Pays-Bas, Etats-Unis d'Amérique: Springer-Verlag, 2008.
- Aristote. *Aristotle on coming-to-be & passing-away*. Edited by Harold Henry Joachim. Oxford, Royaume-Uni de Grande-Bretagne et d'Irlande du Nord: At the Clarendon press, 1922.
- al-Bīrūnī, Muḥammad ibn Aḥmad. *Risāla li'l-Bīrūnī : fī Fihrist Kutub Muḥammad ibn Zakariyyā al-Rāzī*. Edited by Paul Kraus. France : Bārīs : G. P. Maisonneuve : Impr. orientaliste Au Calame, 1936.
- al-Jāhīz, 'Amr ibn Baḥr. *Kitāb al-Ḥayawān*. Edited by Abd al-Salām Muḥammad Hārūn. 7 vols. al-Qāhira: Maktabat Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī, 1938.
- al-Kurdī, Muḥyī al-Dīn Ṣabrī, al-Ḥusayn b. 'Abd Allāh b. Sīnā, Muḥammad b. Aḥmad Abū al-Riḥān al-Bīrūnī, wa 'Umar Khayyām. *Jāmi' al-Badā'i'*. Miṣr: Maṭba'at al-Sa'āda, 1917.
- al-Mutanabbī, Abū al-Ṭayyib Aḥmad ibn al-Ḥusayn. *Dīwān al-Mutanabbī*. Bayrūt: Dār Bayrūt li'l-Ṭibā'a wa'l-Nashr, 1970.
- al-Nashshār, 'Alī Sāmī, Muḥammad 'Ubūdī Ibrāhīm, wa 'Alī 'Abd al-Mu'ṭī Muḥammad. *Dimūqrīṭis: Faylasūf al-Dharra wa-Atharuhu fī'l-Fikr al-Falsafī ḥattā 'Uṣūrinā al-Ḥadītha*. al-Iskandariyya: al-Hay'a al-Miṣriyya al-'Āmma li'l-Ta'lif wa'l-Nashr, 1970.
- Canguilhem, Georges. *Études d'histoire et de philosophie des sciences*. Paris, France : Librairie philosophique J. Vrin, 1970.
- Chastel, Claude, and Arnaud Cénac. *Histoire de la médecine : introduction à l'épistémologie*. Paris, France: Ellipses, 1998.
- Cooper, Glen. 'Abū Bakr Muḥammad Ibn Zakariyyā Al-Rāzī's Doubts about Galen: The Case of Medical Crisis Theory'. In *2. Uluslararası Prof. Dr. Fuat Sezgin İslâm Bilim Tarihi Sempozyumu Bildiriler Kitabı*, edited by Mehmet Kaya, Nihal Özdemir, and Gürsel Aksoy, 263–70. Istanbul University Press, 2023. <https://doi.org/10.26650/PB/AA08.2023.002.019>.
- Djebbar, Ahmed, and Jean Rosmorduc. *Une histoire de la science arabe : introduction à la connaissance du patrimoine scientifique des pays d'Islam*. Paris, France : Éditions du Seuil, 2001.

- Djenane, Okba. 'Le Corps Souffrant Au Regard de La Philosophie Médicale Chez Al-Rāzī (865 ? -925 ?) : Essai Intégrant La Philosophie, La Médecine et Le Spirituel', 2010. <https://api.semanticscholar.org/CorpusID:190566171>.
- Ḥusayn, Muḥammad Kāmil. "Ṭibb al-Rāzī." *Fī Kitāb al-Murshid aw al-Fuṣūl ma'a Nuṣūṣ Ṭibbiyya Mukhtāra*. Edited by Albīr Zakī Iskandar, Ma'had al-Makhtūṭāt al-'Arabiyya, 127–172. al-Qāhira, 1995.
- Ibn Abī Uṣaybi'ah. '*Uyūn al-Anbā' fī Ṭabaqāt al-Aṭibbā'*. Edited by Nizār Riḍā. Beyrouth : Dār Maktabat al-Ḥayāt, 1965.
- Ibn al-Nadīm, Muḥammad ibn Iṣḥāq. *Kitāb al-Fihrist li'l-Nadīm*. Edited by Riḍā Tajaddud. Ṭihrān: Marvi Offset Printing, 1971.
- Ibn Buṭlān al-Baghdādī et Ibn Riḍwān al-Miṣrī. *Khams Rasā'il = The medico-philosophical controversy between ibn butlan of baghdad and ibn ridwan of cairo* Al-Jāmi'ah al-Miṣriyyah. Miṣr: Paul Barbey, 1937.
- Ibn Juljul. *Ṭabaqāt al-Aṭibbā' wa'l-Hukamā'*. Edited by Fu'ād Sayyid. Al-Qāhira: al-Ma'had al-'Ilmī al-Faransī lil-Āthār al-Sharqiyya, 1955.
- Ibn Ḥazm, 'Alī b. Aḥmad. *Al-Iḥkām fī Uṣūl al-Aḥkām*. Edited by 'Aḥmad Muḥammad Shākir. Dār al-Āfāq al-Jadīda. 2 vols. Bayrūt, [n.d.].
- Käs, Fabian. 'Abū Bakr Al-Rāzī, Doutes Sur Galien, Introduction, Edition and French Translation by Pauline Koetschet (Berlin, Boston: De Gruyter, 2019), Cxxxviii-347 p.' *Arabic Sciences and Philosophy* 30, no. 1 (March 2020): 155–58. <https://doi.org/10.1017/S0957423919000134>.
- Katouzian-Safadi, Mehrnaz. 'La cornue et l'alambic : instrument d'analyse et de preuve dans Les doutes sur Galien de Razi'. *De Zénon d'Elée à Poincaré : recueil d'études en hommage à Roshdi Rashed* 1 vol. (2004): 377–89.
- Koetschet, Pauline. 'Abū Bakr al-Rāzī on Vision'. In *Philosophy and Medicine in the Formative Period of Islam*, Warburg Institute., 170-189. 1. London, 2017.
- Koetschet, Pauline. 'Galien, al-Rāzī, et l'éternité Du Monde. Les Fragments Du Traité Sur La Démonstration, IV, Dans Les Doutes Sur Galien'. *Arabic Sciences and Philosophy* 25, no. 2 (September 2015): 167–98. <https://doi.org/10.1017/S0957423915000016>.
- Koetschet, Pauline. 'What Level of Certainty Can Medical Sign-Inference Reach?: A Discussion of Galen's Demonstrative Method in the Islamic World'. In *Galen's Epistemology: Experience, Reason, and Method in Ancient Medicine*, edited by Matyáš Havrda and R. J. Hankinson, 275–89. Cambridge: Cambridge University Press, 2022. <https://doi.org/10.1017/9781009072670.013>.
- Kraus, Paul. *Jābir ibn Ḥayyān: contribution à l'histoire des idées scientifiques dans l'Islam*. Paris, France : Les Belles Lettres, 1986.
- Le Coz, Raymond, and Guy Préfacier Lazorthes. *Les médecins nestoriens au Moyen âge : les maîtres des Arabes*. Paris, France, Italie, Hongrie, 2004.

- Meyerhof, Max. *Thirty-three clinical observations*. Bruges, Belgique: Saint Catherine Press, 1935.
- Moïse Maïmonide. *Le guide des égarés*. Edited by Charles Mopsik. Translated by Jules Wolff and Salomon Munk. Lagrasse, France : Verdier, 1979.
- Moulin, Anne-Marie. *Histoire de la médecine arabe : dialogues du passé avec le présent*. Paris, France : Confluent Editions, 1996.
- Nutton, Vivian. *La médecine antique*. Paris, France : Les Belles Lettres, 2016.
- Pines, Shlomo. *Razi critique de Galien*. Jerusalem: n.p., 1953.
- Pormann, Peter E. 'Galen, De Diebus Decretoriis. From Greek into Arabic: A Critical Edition, with Translation and Commentary, of Ḥunayn Ibn Ishāq, Kitāb Ayyām al-Buḥrān (Medicine in the Medieval Mediterranean) By Glen M. Cooper'. *Journal of Islamic Studies* 24, no. 1 (1 January 2013): 71–74.
<https://doi.org/10.1093/jis/ets073>.
- Pormann, Peter E.. 'Medical Methodology and Hospital Practice: The Case of Tenth-Century Baghdad'. In *In the Age of Al-Farabi: Arabic Philosophy in the 4th/10th Century*, 95–118. Warburg Institute, 2008.
<https://research.manchester.ac.uk/en/publications/medical-methodology-and-hospital-practice-the-case-of-tenth-centu>.
- Ibn Šā'id al-Andalusī, Šā'id b. Aḥmad. *Kitāb Ṭabaqāt al-Umam*. Edited by Louis Cheikho. Trans. by Régis Blachère. Publications of the Institute for the History of Arabic-Islamic Science 1. Frankfurt am Main: Institute for the History of Arabic-Islamic Science at the Johann Wolfgang Goethe University, 1999.
- Sarton, George. *Introduction to the history of science*. 5 vols. Baltimore, Etats-Unis d'Amérique: Williams and Wilkins, 1927-1948.
- Savage-Smith, Emilie. 'La Médecine'. In *Histoire des sciences arabes*, 155–212. Paris, France: Éditions du Seuil, 1997.
- Strohmaier, Gotthard. 'Bekannte Und Unbekannte Zitate in Den Zweifeln an Galen Des Rhazes'. edited by Fischer, Nickel, and Potter, 263–87. BRILL, 1998. https://doi.org/10.1163/9789004377455_013.
- Vaulx d'Arcy, Guillaume de. 'Koetschet, Pauline, Abū Bakr al-Rāzī, « Doutes sur Galien ». Introduction, édition et traduction'. *MIDÉO. Mélanges de l'Institut dominicain d'études orientales*, no. 35 (11 October 2020) : 398–400.
<https://journals.openedition.org/mideo/6167>.

